مجلة بحوث
كلية الآداب

البحث (١٠)

النكبة الفلسطينية فى الشعر العبرى المعاصر

دراسة فى بعض قصائد ("لا تخبروا فى جت"، النكبة الفلسطينية فى الشعر العبرى ١٩٤٨ - ١٩٥٨) من إعداد حانان حيفر

إعداد

د / عمرو عبد العلى علام

أستاذ الأدب العبرى المعاصر المساعد
كلية الآداب - جامعة المنوفية

السنة ٢٣ العدد (٨٩) ابريل ٢٠١٢م

http : // Arl.menofia . edu. eg *** E- maii: rgfa2012@ Gmaii.com

Scanned with CamScanner

النكبة الفلسطينية في الشعر العبري المعاصر

دراسة في بعض قصائد ("لا تخبروا في جت"، النكبة الفلسطينية في الشعر العبري ١٩٤٨-١٩٥٨) من إعداد حانان حيفر

د. عمرو عبد العلى علام
أستاذ الأدب العبري المعاصر المساعد
كلية الآداب –جامعة المنوفية

تمهيد:

رغم محاولات التفريغ والتغييب التي اقترفتها إسرائيل ومن قبلها الحركة الصهيونية في حق الفلسطينيين منذ عام ١٩٤٨ وحتى وقتنا هذا؛ تبقى النكبة الفلسطينية قابعة في الذاكرة الإسرائيلية، بكل مآسيها وضحاياها من الفلسطينيين ممن فقدوا وطنهم الذي ما زال يعيش فيهم ويحيون على أمل العودة إليه.

وتبقى النكبة الفلسطينية قابعة أيضاً في الأدب والتاريخ الإنساني كشاهدة على عشرات المجازر والفظائع وأعمال النهب ضد الفلسطينيين، وهدم قراهم وتحطيم مدنهم وتحويلها إلى مدن يهودية؛ ومحاولات تدمير الهوية الفلسطينية ومحو الأسماء الجغرافية العربية واستبدالها بأسماء عبرية.

وعلى الرغم من محاولات الكثير من الأدباء الإسرائيليين تجاهل الآخر الفلسطيني وعذاباته في نتاجاتهم الفكرية والأدبية، والتعامل مع النكبة بهدف طمسها ومحوها وكأنها قصة تاريخية منتهية، فإن هناك أعمالاً أدبية في إسرائيل لا تستميت في طمس النكبة الفلسطينية وتداعياتها، وترفض تكريس الرؤية الأحادية للمؤسسة الحاكمة في إسرائيل. وعلنا نذكر رواية (خربة خزعة) التي صدرت للأديب الإسرائيلي ساميخ يزهار عام ١٩٤٩؛ وتحدث فيها عن إحدى القرى الفلسطينية التي تم تهجير سكانها بالكامل، فتلك الرواية تعد "شهادة" في الأدب العبري ضد محاولات طمس معالم النكبة الفلسطينية؛ والدفع بها إلى مجاهيل النسيان.

من هنا تأتى أهمية المجموعة الشعرية العبرية ("لا تخبروا في جت"، النكبة

Scanned with CamScanner

الفلسطينية في الشعر العبري ١٩٤٨-١٩٥٨)؛ التي أعدها الناقد الإسرائيلي البرفيسور حانان حيفر وآخرون؛ والتي صدرت في عام ٢٠١٠؛ أي بعد أكثر من ستين عاماً على النكبة الفلسطينية؛ لتخرج عن النص المكتوب في الأدب الإسرائيلي الذي يحاول طمس النكبة الفلسطينية كجزء من الحرب المتواصلة ضد الوعي والذاكرة.

وهي مجموعة من الشعر العبري الذي نـــظم بين يناير ١٩٤٨ وديسمبر ١٩٥٨ وتطرق؛ سواء بصورة رمزية أم جليّة، للنكبة الفلسطينية. وهي خلاصة بحث طويل وشامل، تم خلاله رصد الشعر العبري وكيفية تعامله مع النكبة في الكتب والصحف العبرية منذ نهاية نوفمبر ١٩٤٧ وحتى نهاية عام ١٩٥٨.

وتحتوي هذه المختارات الشعرية أيضاً على شهادات للاجئات ولاجئين فلسطينيين، ممن عاشوا في فلسطين حتى عام ١٩٤٨، يحكون فيها عن حياتهم أثناء النكبة وبعدها. وهي شهادات منقولة عن سلسلة الكتيبات التي تصدرها جمعية "زوخروت" (يذكرن) حول المدن والقرى الفلسطينية المهدمة. وهي "شهادات لمطرودين فلسطينيين وإناس يبلغون من العمر سبعين عاما وأكثر، وقد عاصروا النكبة وهم صغار. وقد جاءت هذه الشهادات موجزة وحقيقية؛ تحدثوا فيها عن هدم البيوت وفقدان الممتلكات والسير في الوديان والبحث عن ملاذ يأويهم. فما بين الشعر والكلام فارق كبير يكمن بين الحديث الشعرى الرفيع الرمزي المتشبع بالأفكار حتى الانفجار، وبين الصوت الشجاع لتلك الشهادات؛ فهذه الشهادات تفضح الشعر القابع في أسر لغة الكلام والرمز وفقدان علوه دون أن يسمعه أحد"(١).

وهكذا "فإذا كان الشعر العبرى لم ينجح في التعبير بصفة عامة عن واقع النكبة الفلسطينية بكل مآسيها؛ فإن الكثير من شهادات المطرودين الفلسطينيين وأبناءهم قد عبرت عنها بقوة كبيرة في هذه المجموعة الشعرية"(٢). وربما جاءت هذه الشهادات لتنسف الرواية الصهيونية حول النكبة.

ويرى بعض النقاد الإسرائيليين؛ أن هذه المجموعة الشعرية تهدف إلى إعادة

Scanned with CamScanner

قراءة القصائد العبرية التي كتبت في العقد الأول من قيام الدولة؛ حيث أن معظم هذه القصائد لم تنشر مرة أخرى بعد ظهورها الأول في الصحافة العبرية منذ خمسين عاماً أو أكثر؛ ويمكن من خلالها أن نحكم على الشعر العبرى وكيف تعامل مع طرد ما يقرب من ثمانمائة ألف فلسطيني وتدمير بيوتهم وتقسيم أراضيهم والحيلولة دون عودتهم. ويمكننا كذلك، أن نرى كيف تعامل الشعراء الإسرائيليون مع العنف السياسي الذي وقع أمامهم وشارك بعضهم فيه. إنها نظرة للماضي من أجل الحاضر، نستطيع من خلالها أن نتعرف على الحالة التي عاشها الشعراء الإسرائيليون وهم يحيون داخل كارثة سياسية وإنسانية مستمرة، وكيف كانت مسئوليتهم عنها كبشر ومواطنين وشعراء؟

وقد استمد محررو هذه المجموعة الشعرية عنوانها (لا تخبروا في جت) من مرثية داوود في العهد القديم التي رثى فيها شاؤول وابنه يوناثان في الإصحاح الأول من سفر صموئيل الثاني، بعد أن قتله أحد العماليق فأخبر قومه بأن يحكوا عن تلك الهزيمة في جت ولا في ساحات أشكلون: "لا تخبروا في جت لا تبشروا في أسواق اشكلون لئلا تفرح بنات الفلسطينيين لئلا تشمت بنات الغلف" صموئيل الثاني (١: ٢٠). وهكذا عبر داود النبي عن مشاعره الصادقة الأمينة بمرثاة لشاؤول ويوناثان، وقد طلب من بني يهوذا أن يتعلموها لكي تبقى ذكراهما دائمة. وقد سجلت في كتاب شعري مشهور في ذلك الحين سمى "سفر ياشر"؛ وهو كتاب أدبي وليس سفرًا من أسفار الكتاب المقدس.

ويمكن القول؛ إن عنوان هذه المجموعة الشعرية عن النكبة الفلسطينية قد جاء بالصيغة المعكوسة لـ (لا تخبروا في جت)؛ فقد نظمت هذه القصائد لكي تحكى عن فظائع هذه النكبة وضحاياها من الفلسطينيين، ولكي تكشف وتفضح جرائم الحرب والطرد والتفريغ التي قامت بها المليشيات اليهودية المسلحة في حق الفلسطينيين؛ وكأنها مرثية على غرار مرثية داوود؛ صاغها محررو هذه المجموعة الشعرية لكي تبقى ذكرى النكبة قائمة ودائمة في سجل شعري يؤرخ للنكبة الفلسطينية بأيدي مرتكبيها. وقد تكون هذه المجموعة الشعرية مرثية لإسرائيل؛ لما اقترفته في حق

Scanned with CamScanner

الإنسانية من اغتصاب وقتل وسفك لدماء الفلسطينيين؛ مثلما ذكر الشاعر الإسرائيلي آريه ستراوس في إحدى قصائده التي تتضمنها هذه المجموعة الشعرية معلناً (الرثاء لإسرائيل).

ويرى الناقد الإسرائيلي ايلاى هيرش أن استخدام هذه الجملة (لا تخبروا في جت) كعنوان لهذه المجموعة الشعرية "يعنى أن الهزيمة المرة والفقدان الكبير الذى لحق بداوود يتطلبان صمت وكتمان"(٣)؛ وبذلك فهو عنوان يكمن في طياته تناقض أو سخرية ما بين دعوة المؤسسة الإسرائيلية الرسمية للكتمان ومحو فظائع هذه الحرب؛ وبين دعوة الشعر العبري المعاصر إلى البوح والاعتراف بالخطيئة في حق الفلسطينيين؛ لا سيما وقد استخدم الشاعر الإسرائيلي ناتان ألترمان هذه الجملة في قصيدته (على إثر ذلك) التي تضمنتها هذه المجموعة الشعرية؛ وفيها تحدث عن فظائع الطرد والقتل والرعب المتلازم للنصر الإسرائيلي في حرب ١٩٤٨.

ويرى هيرش أيضاً أن هذا التعبير (لاتخبروا في جت)؛ يعبر في زمننا هذا عن مرحلة جديدة في تاريخ الشعر العبري؛ فقد تحول التعبير الذي استعاره ألترمان من داوود إلى عنوان لمجموعة من القصائد العبرية؛ وتلك هي المفاجأة في استخدام تعبير استخدم لأول مرة منذ آلاف السنين من أجل اخفاء ذروة الغضب الإسرائيلي تجاه الفلسطينيين؛ ليعود مرة أخرى للكشف عن ذروة الغضب الفلسطيني تجاه الإسرائيليين"(٤).

وربما تطرح هذه المجموعة الشعرية بعض التساؤلات عن الهدف الرئيس لصدور هذه المختارات الشعرية في ذلك التوقيت؟ وكيف يري القاتل مأساة ضحيته؟ أو ما الذي يدفع مجموعة من الشعراء الإسرائيليين للكتابة عن النكبة الفلسطينية في الشعر العبري؟ وهي تساؤلات يجيب عنها المحرر الرئيس لهذه المجموعة الشعرية حانان حيفر بقوله: "لقد تأكد لدى الجميع في إسرائيل أنه لن يستقر السلام بيننا وبين الفلسطينيين إذا لم نعترف بارتكاب الكارثة الفظيعة التي وقعت عليهم عام ١٩٤٨. فليس المقصود فقط عمليات الطرد وجرائم الحرب، بل الأكثر من ذلك أن إسرائيل حالت دون عودتهم إلى أراضيهم بعد انتهاء الحرب؛ وهو ما يتعارض مع الحقوق

Scanned with CamScanner

الإنسانية: فإذا لم يحدث اعتراف إسرائيلي قوى وتحمل للمسئولية فلن يكون هناك سلام"(٥).

ويرى الشاعر والمؤرخ الإسرائيلي ماتاى شمئلوف أن هناك أكثر من سبب لصدور هذه المجموعة الشعرية في ذلك التوقيت؛ حيث يقول: "يكمن السبب الأول في آداب المهنة والأخلاق التي تحكم عالم الأدب والثقافة. والسبب الثاني هو محاولة لإعادة وصف العلاقات بين ما هو سياسي وأدبى؛ أي استقراء العلاقة بين الجرائم السياسية وكتابة الشعر. بينما يكمن السبب الثالث في دراسة الماضي؛ فالأمر لا يقتضي فقط وصف الحاضر وتقنينه؛ بل هناك ضرورة لرسم العلاقات الأدبية المستقبلية بين اليهود والعرب في إسرائيل"(٦).

بينما يرى الأديب والناقد الأدبي أيمن سكسك أن الكتابة هي الوسيلة الفنية المهمة للغاية التي تبقى من خلالها الجروح القومية؛ وتختفي في حالات معينة أيضاً، حيث يقول: "ما يهمني في هذا الأمر هو أن نرى كيف تعامل الشعر العبري آنذاك مع الجرح الفلسطيني الذى مازال الاعتراف الرسمي به محل خلاف حتى يومنا هذا... فمن الممكن أن نرى في هذه المجموعة الشعرية كيف محت بعض القصائد العبرية النكبة الفلسطينية وتعاملت معها في نفس الوقت؛ فقد نرى بيوتاً مهجرة دون أن يذكر من الذى سكنها قبل هجرها، وقد نقرأ عن أشجار وحقول وجنان؛ دون أن يذكر الشاعر من الذى شيدها"(٧).

ومن هنا فإن الساحة الجغرافية وليس البشر في بعض قصائد هذه المجموعة الشعرية؛ هي البطل الذي يتحدث عنه هؤلاء الشعراء الإسرائيليون الذين يعترفون بالنكبة الفلسطينية إنسانياً؛ وفى نفس الوقت يمحون الفلسطيني ذاته. وهكذا كان حال الشعر العبري في تعامله مع الآخر الفلسطيني؛ فهو يحاول الاقتراب من الواقع الذي حدث وربما يشجب ويدين ويتظاهر بالتعاطف؛ وفى نفس الوقت يطمس أدلة قد تدينه؛ فهو لا يقوى على الاعتراف المباشر بالمسئولية؛ فالمسئولية هنا وفى مثل هذه الحالات، كاملة لا تجتزأ، خاصة في ظل تساؤلات عديدة من قبل شباب إسرائيليين يسألون أنفسهم عن السبب الذي أدى بهم إلى ما يحدث حولهم اليوم من صراع،

Scanned with CamScanner

ويرغبون في فهم جذور الوضع الذي تسيطر فيه دولتهم على الفلسطينيين؛ وتسلب أراضيهم. وهي تساؤلات مشروعة من قبل أجيال جديدة لا ترى في دولتها مقومات الوطن الطبيعي بمفهوم الطبيعية التي تشدقت بها الحركة الصهيونية، ومن ثم فهي تساؤلات عن جذور الوطن وإرهاصات وجوده في ظل عداء وصراع دائم لا ينتهي.

"وبخلاف المختارات الشعرية الأخرى؛ فان هذه المجموعة الشعرية لم تتبع معياراً أدبياً معيناً، فلم يختار المحررون؛ بصفة خاصة؛ القصائد الجيدة التي كتبت من وجهة نظرهم حول موضوع النكبة. لقد كان المعيار الوحيد الذي اتبع في هذه المجموعة الشعرية هو السؤال الذي يقول: هل اهتمت القصائد العبرية بالنكبة الفلسطينية أم بحرب ١٩٤٨؟ وكيف استطاع الشعر العبري؛ على اعتبار أنه يدور في فلك مؤسسة أو هيئة؛ أن يربط بين ولاءه للمجتمع القومي الإسرائيلي وبين الاعتراف بأن الاستيطان اليهودي على أرض فلسطين كان على حساب شعب آخر أو على حساب إناس أخرين صاروا فيما بعد لاجئين"(٨).

وقد تأتى هذه المجموعة الشعرية كمحاولة للفت انتباه الكثيرين ممن يؤمنون بأن المشروع الصهيوني لدولة قومية يهودية لم يفشل بعد ويتمسكون به؛ فطالما ظلت الهوية اليهودية تسلب الهوية الفلسطينية وتتعامل معها كما لو أنها أمر منتهى؛ وهو ما يبدو في التركيز على نتائج حرب ١٩٦٧ ومحاولات محو تداعيات حرب ١٩٤٨؛ فلن يكون هناك حل للصراع من وجهة نظر البعض من الساسة والنقاد الإسرائيليين. وهو ما يؤكد عليه معد هذه المجموعة الشعرية حانان حيفر بقوله: "إنني مؤمن بأن هذه المجموعة الشعرية سوف تثير اهتمام الكثيرين خاصة الشباب؛ وسوف تأخذهم في رحلة إلى ضبابية الوعي الإسرائيلي وكيفية مواجهته للنكبة الفلسطينية. إنني مؤمن بأن العودة إلى عام ١٩٤٨ تستطيع إحداث تغيير في الفكر السياسي بإسرائيل وربما تعطى بارقة أمل لبديل سياسي وروحاني"(٩). فهناك أدباء إسرائيليون؛ مثل رونيت متالون على سبيل المثال؛ يهتمون كثيراً بمسألة الهوية الإسرائيلية ويتبنون الموقف السياسي الحقيقي فيما يتعلق بجذور الوجود اليهودي على هذه الأرض، لا سيما وقد نهض جيل جديد من الشعراء ليهدم أو ليكشف عن حقيقة

Scanned with CamScanner

الموقف الأخلاقي القومي؛ وذلك من خلال فهم عميق بأن هذا الموقف الأخلاقي القومي والتقليدي هو موقف مستحيل في ذلك التوقيت.

ويمكن القول؛ إن هذه المجموعة الشعرية تعد وثيقة شعرية تضاهى الشهادة التاريخية على هذه الحرب؛ فربما رأى محررو هذه المجموعة الشعرية أن الشعر قادر على التعبير عن كافة المضامين الضرورية أو الاحتجاجية؛ التي لم يستطع التاريخ الرسمي أن يذكرها أو يتطرق اليها؛ وكانت شهادات المواطنين فلسطينيين الذين عاشوا وسكنوا في القرى التي دمرها الجيش الإسرائيلي خلال تلك الحرب بديلاً لذلك التاريخ؛ لاسيما وأنها خلقت نوعاً من التوتر القوى داخل هذه المجموعة الشعرية التي رفضت بشدة حل أو تهدئة هذا التوتر.

ويقول الناقد الإسرائيلي أمير بنباجى: "إننا نلتقى بشعر بليغ ومؤثر، شعر يقبض بيديه على الثقافة العبرية وعلى القيم التي يعرضها. لقد تم إعداد هذه المجموعة وإصدارها في كتاب بصورة غريبة وملفتة: فبعض الصفحات السوداء لهذه المجموعة الشعرية؛ تشير إلى سجل ذكريات؛ كما يذكرنا تصميمه الضيق والطويل بحكايات عيد الفصح. إنه كتاب قد لا نجد له مكاناً على الرف سواء أكان رفاً أدبياً أم رفاً تاريخياً، فمن الواضح أن محرريه كان لديهم الرغبة في كتابة فصل لتاريخ الشعر العبري؛ أي رغبوا في أن يكونوا علميين. ومع هذا؛ فإن هذه الرغبة في تسجيل الذكريات كانت عبر مؤسسة الشعر العبري؛ ولذا فقد قرروا إضافة الصوت الثاقب والمثير للاجئين الفلسطينيين؛ وكذلك المشهد المثير للصفحات السوداء بين القصائد العبرية"(١٠).

وقد أعقب هذه المجموعة الشعرية سجال كبير حول (قانون النكبة)"١١" الذى أقره الكنيست الإسرائيلي في الثاني والعشرين من مارس ٢٠١١ وصادقت عليه المحكمة العليا في فبراير ٢٠١٢؛ الذى يحظر فيه على المؤسسات والجمعيات والهيئات الإسرائيلية إحياء ذكرى النكبة الفلسطينية؛ الأمر الذى دفع بعض المفكرين الإسرائيليين وجمعيات حقوق الإنسان والمعهد الإسرائيلي للديموقراطية إلى الوقوف ضد هذا القانون، حيث أعربوا عن معارضتهم له؛ مؤكدين أنه سيلحق أضراراً

Scanned with CamScanner

كبيرة بحرية التعبير عن الرأي في إسرائيل، وأشاروا أنه يهدف إلى نزع الشرعية عن الجمهور العربي، ويتدخل في مشاعر الناس وأحزانهم.

لقد دفع قانون النكبة بعض المفكرين الإسرائيليين إلى القول بأن محاولات محو الذاكرة الإسرائيلية من النكبة الفلسطينية؛ تشكل خطورة كبيرة على الثقافة العبرية بكافة أنواعها؛ فيقول ميخائيل يعقوفسون: "من خلال الحالة السياسية التي تظل فيها النكبة الفلسطينية منكرة ومكممة من قبل المشرع الإسرائيلي عن طريق الأحكام والقوانين، تشير هذه المجموعة الشعرية بأن الذى يطلب محو النكبة الفلسطينية وذكراها؛ لم يضطر إلى محو بقايا الثقافة الفلسطينية ومحاربة ذكرى وحياة الفلسطينيين الذين مازالوا يعيشون هنا فحسب؛ بل سيكون عليه محو الشعر العبري ذاته والثقافة العبرية الحاضرة فيها النكبة الفلسطينية بقوة، وفى النهاية محو البلاد كلها"(١٢).

ومن ناحية أخرى؛ تحتوي هذه المجموعة الشعرية على بعض القصائد التي تبدو فيها التناقضات واضحة وملموسة؛ فهي تعرض للنكبة وذكرياتها، وفى نفس الوقت تتماثل – لا نستطيع أن نقول تبرر–مع الظلم الذي وقع ضد الفلسطينيين. وهو ما يؤكد عليه الناقد الإسرائيلي هيرش بقوله: "تحتوي هذه المجموعة الشعرية على قصائد كتبها شعراء إسرائيليون وتطرقوا فيها إلى ذكريات الفلسطينيين الذين حالت إسرائيل دون عودتهم مرة أخرى إلى بيوتهم؛ ففي السنوات التي أعقبت النكبة ظلت الذكريات أكثر نضارة ووضوحاً. فقد عالجت هذه القصائد قضايا عدم الاستقرار والمصير الفلسطيني والشعور بالشفقة تجاه أحداث الاحتلال وما خلفه من معان غير أخلاقية. ومن ناحية أخرى يبدو أن معظم هذه القصائد قد كتبت من وجهة نظر صهيونية أو على الأقل يهودية إسرائيلية، ولذا فإن بعض القصائد غير واضحة الهدف ومتناقضة؛ فهي ترثى الظلم الذي يتماثل فيه الشاعر مع منفذيه ويشعر بأنه شريك في الواقع الذي ترعرع فيه... ويبدو على السطح استعراض لأحاسيس أخلاقية تبدو بعد تدقيق وفحص كاستراتيجية نسيان أو كتمان"(١٣).

Scanned with CamScanner

هذه الدراسة سوف تحاول تقييم فكرة اتساق القيم عند الشاعر ومدى تحققها من عدمه؛ كما ستحاول الإجابة عن أسئلة ملحة تفرض نفسها وبقوة حول طبيعة الشعر العبري الذي نشر في أعقاب النكبة الفلسطينية وفى العقد الذي تلاها؛ وكيفية تعامله مع الآثار التي خلفتها هذه الحرب؛ وتداعيات العنف تجاه الفلسطينيين. فهل تعرض هذا الشعر للمصير الفلسطيني بعد الطرد والتهجير وعدم السماح للفلسطينيين بالعودة إلى بيوتهم وأراضيهم بعد نهاية الحرب؟ وإذا كان قد تناول هذه الأمور؛ فهل تناولها بصورة كلية أم جزئية؟ أي هل تناول بعض الحقائق والأحداث وأهمل وأسقط البعض الآخر؟ وهل نجح الشعر العبري في ألا يحيد عن الالتزام الأخلاقي العام للشعر في التعبير عن جرح الآخر الفلسطيني؟ وهل نجح الشعراء الإسرائيليون في إظهار المشاعر الإنسانية والأخلاقية أو حتى الاحتجاج ضد السلطة تجاه ما حدث للفلسطينيين من معاناة وتدمير للقرى وطرد للمواطنين من قبل الجيش الإسرائيلي؟ وهل كانت هذه المشاعر الإنسانية حقيقية؟ أم أنها محاولة لتجميل وجه إسرائيل القبيح الذي ظهر بعد هذه الحرب؟

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الدراسة سوف تتناول دراسة بعض القصائد الواردة في هذه المجموعة الشعرية من ناحية المضمون فحسب؛ حيث أن دراسة الشكل تتطلب اتساقاً شعرياً واحداً لشاعر أو اثنين؛ وهو ما يصعب تحقيقه في هذه المجموعة الشعرية التي تحتوي على أكثر من خمس وأربعين قصيدة لأكثر من أربعين شاعراً تناول كل منهم موضوع النكبة الفلسطينية طبقاً لأهدافه وانتماءاته السياسية وقناعاته الفكرية.

وعلى هذا الأساس يمكننا أن نعرض للنكبة الفلسطينية في الشعر العبري؛ وعبر بعض قصائد هذه المجموعة الشعرية من خلال المحاور التالية:

أولاً: القرى والمدن الفلسطينية بين "التفريغ" و"التغييب":

كانت الأحداث الدموية التي سبقت حرب ١٩٤٨ نقطة الانطلاق الأولى لتفريغ المدن والقرى الفلسطينية من سكانها. وفى أعقاب هذه الحرب؛ انطلقت دولة إسرائيل

Scanned with CamScanner

نحو طمس معالم الجغرافيا الفلسطينية وإحلال جغرافية عبرية بديلة. وقد أعقب ذلك؛ إقصاء القرى الفلسطينية المهجرة من التخاطب والحوار في إسرائيل؛ حيث واصلت السلطات الإسرائيلية بشكل منهجي طمس المعالم العربية الإسلامية للبلاد من التاريخ والذاكرة الجماعية لدى الإسرائيليين بعد محوها بالجغرافيا.

والغريب في الأمر أن الكثيرين من المؤرخين والنقاد والأدباء الإسرائيليين يعترفون بعمليات "التفريغ" التي قامت بها إسرائيل ضد القرى والمدن العربية في هذه الحرب؛ وما أعقب ذلك من محاولات ممنهجة لـــ "تغييب" هذه القرى عن الذاكرة الإسرائيلية؛ بهدف قيام جيل جديد يحمل هوية يهودية جديدة ذات خصائص قومية تدفعه للتمسك بالبلاد والدفاع عنها.

وهو أمر يؤكد عليه الناقد الإسرائيلي آريئيل هيرشبيلد بقوله: "لقد طمست دولة إسرائيل صنيعها؛ وحولت القرى الفلسطينية المهجرة إلى مناظر طبيعية ساحرة من البساتين. ومحت أسماء القرى العربية من الواقع ومن الخريطة... إن المزج بين مشاعر العدل والاتهام أمر قاتل؛ فهو يغيب الوعي الإسرائيلي عن واقع النكبة. ويعد التغييب؛ في هذه الحالة؛ تطرفاً كبيراً؛ لدرجة أن الإسرائيلية لم تكن مهيأة للاعتراف بهذا التغييب اعترافاً واقعياً. لقد أدرك قادة الاستيطان عام ١٩٤٨ بالحس التاريخي التخيلي؛ أنهم يصنعون شيئاً لابد وأن تكون قدرة التغييب والإنكار اليهودي فيه مكتملة، حتى وإن تم صنعه بأسلوب جارف ووحشي؛ دون أن يضعوا في الاعتبار رد فعل جاد من الجانب الآخر"(١٤).

وتؤكد الناشطة والباحثة الإسرائيلية نوجا كدمان في كتابها (على جانبي الطريق وهوامش الوعى) على "المنهجية الإسرائيلية المعتمدة منذ النكبة في إبعاد القرى الفلسطينية المهجرة من مشهد الحوار في إسرائيل من خلال عدة وسائل؛ مثل محو تسميات الأماكن الفلسطينية أو عبرنتها، وإزالتها من الخرائط الرسمية، ومثل تجاهل تاريخ وهوية القرى الفلسطينية الواقعة ضمن المنتزهات الوطنية؛ حيث تقوم سلطة حماية الطبيعة الإسرائيلية بشطب الحقبة التاريخية العربية الإسلامية من

Scanned with CamScanner

اللافتات التي تشرح تاريخ الأماكن في نطاق المتنزهات الوطنية؛ بينما تلقى الضوء على تاريخها القديم وتتعامل معها كجزء من الطبيعة فقط. كما تتجاهل السلطات الإسرائيلية التاريخ العربي للقرى الفلسطينية المهجرة؛ خاصة ذات الآثار التاريخية ولكنها تهتم بإظهار الصلة اليهودية للمكان من الناحية التاريخية. ففي قيساريا؛ على سبيل المثال حيث توجد هناك آثار عربية كبيرة ومسجد بنيت جذوره في فترة الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان تقتصر الشروحات على الحقبتين البيزنطية والصليبية فقط."(١٥).

ويبدو أن الشعر العبري الذي تناول النكبة الفلسطينية وعمليات الطرد والتهجير من المدن والقرى الفلسطينية؛ قد صار على نفس النهج؛ على الرغم من التعاطف الإنساني مع ما حدث. فقد تناول الشعراء الإسرائيليون الممارسات الوحشية للجنود الإسرائيليين ضد الفلسطينيين؛ وتجاهل بعضهم أسماء القرى الفلسطينية؛ ووصفوها دون هوية؛ الأمر الذى يدفعنا إلى التأكيد على الصلة القوية التي ربطت الشعر العبري بالأحداث التاريخية التي مر بها اليهود في العصر الحديث؛ حيث عمل الكثير من الشعراء العبريين على تحقيق أهداف الحركة الصهيونية في استيطان الأراضي الفلسطينية تمهيداً لقيام دولة لليهود؛ وكان الشعر العبري آنذاك هو المعبر الرئيس عن توجهات وطموحات الرواد الصهيونيين، واصطبغ جزء كبير منه بصبغة إنسانية كان باطنها هو الصهيونية؛ فالحنين إلى إقليم قومي كان هو الباعث الرئيس للشعر العبري مع نهايات القرن التاسع عشر.

ومثلما كان للشعر العبري دوره في الترويج للحركة الصهيونية ولدولة اليهود التي تسبب قيامها في قتل وتشريد آلاف الفلسطينيين، كان لهذا الشعر دوره أيضًا في التعبير عن تداعيات حرب ١٩٤٨؛ وفيه مارس الشعراء الإسرائيليون اتجاهات مختلفة ومعقدة ومتنوعة للتغطية أو التمويه على عمليات الجيش الإسرائيلي في طرد وتهجير الفلسطينيين من قراهم.

١) وحول عمليات التفريغ والتغييب؛ يطالعنا الشاعر الإسرائيلي دانيال بن ناحوم بقصيدة نشرتها صحيفة "عل هامشمار" في مايو ١٩٥٠ تحت عنوان כפר

Scanned with CamScanner

נטוש (قرية مهجورة)؛ يقول فيها:

دخان كثيف يحلق في سماء القرية
يتدافع في ظلمة من الأكواخ الطينية
يزحف في مرونة بين منحدرات الجبل،
ويحتك بأشجار الزيتون والنخل.
وبين النيران يخطو بلباس قمحي
ينزحلق نحو نهر الأردن
يمتد عبر القرية فوق التل عائداً وغريباً
يبرق ويغرق دون اعتراض.
في الخندق يلتف بين البندقية والمعول
مهموم بك، بكل الأعاسيس فالقلب وفي
ففي هذه المعركة لا رحمة ولا عجب.
فها هي قرية خربة؛ تحتضر بين الدخان والمؤامرة
وأكواخ تنهار؛ بين عويل وصراخ الطفولة وأنين أم
تتوارى؛ فالدخان مرير ومذرف للدموع (١٦).

هكذا؛ يحدثنا الشاعر عن نموذج لقرية من القرى الفلسطينية التي طالها مخطط "التفريغ" دون ذكر لاسمها؛ فقد حرقها الجنود اليهود دون رحمة أو إنسانية وأفرغوها من أهلها في معركة لا تعرف "الرحمة ولا العجب"؛ فكل شيء في هذه المعركة مباح؛ وقد اكتست "سماء القرية ومنحدراتها" بالدخان الذي احتك بـ "أشجار الزيتون والنخل" رمز السلام والنماء في الأرض الفلسطينية. ففي هذه الحرب؛ على هذه الرموز أن تتنحى جانباً فتراكم عليها الدخان؛ ولكنه لم يحرقها؛ إيماناً من الشاعر في أن السلام لا يمكن أن ينتهي، فهو الأمل الباقي في ظلمة الليل وفى حلكة الظلم. فقد احترقت القرية بأكملها وتصاعد دخانها من "الأكواخ".

وها هي "قرية خربة" هلكها الجنود اليهود ودمروها؛ فراحت تحتضر بين

Scanned with CamScanner

"الدخان والمؤامرة"؛ وفجأة اتضحت معالم الاستيطان الصهيوني وخدع العرب الفلسطينيون واستيقظوا على صوت المدافع والحرائق وهي تحط في كل مكان؛ في محاولة لتفريغ القرية من سكانها؛ وهدم بيوتهم من قبل الجماعات الصهيونية المسلحة غير عابئين بـ "صراخ الطفولة" و"أنين الأمومة"، فكم من أم تركت وليدها قسراً تحت وطأة القصف والترويع، وكم من طفل تقطع قلبه صراخاً وحزناً على فراق أمه وتشتته.

ويواصل الشاعر قصيدته متحدثاً عن فلسطيني يخطو بين النيران "بلباسه القمحي" ليقف فوق التل "عائداً وغريباً"؛ يختلس النظر إلى قريته وبيته. فقد عاد ليتحسر على قريته ولكنه عاد "غريباً" بعد أن اغتصبت أرضه وتشرد أبناءه؛ وتغيرت معالم القرية التي تهودت. ولكنه أيضاً "مهموم بها" كما ذكر الشاعر، فلن ينساها؛ حتى وإن كان لا يقوى على "الاعتراض".

لقد تحدث الشاعر عن إحدى القرى التي احترقت وهجّر أهلها؛ ومع هذا فقد أنكر المحرر الرئيس لهذه المجموعة الشعرية حانان حيفر سياسات التفريغ التي مارسها الجيش الإسرائيلي ضد الفلسطينيين؛ فيقول: "لم يكن هناك مخطط للطرد الجماعي؛ فقد اتفق القادة العسكريون على إخلاء قرى ومناطق مدنية بعينها من المواطنين؛ كما وافقوا على هدم قرى بأكملها كلما أملت ذلك الضرورة العسكرية ذلك. كما رأى الكثير من القادة العسكريين أنه من الأفضل أن تقوم الدولة اليهودية بأقلية عربية صغيرة"(١٧). وهي رؤية إن كانت صحيحة؛ فهي تتناقض مع الرفض الدائم لعودة اللاجئين الفلسطينيين؛ وتتناقض مع الهدف المعلن الذي صدرت من أجله هذه المجموعة الشعرية.

وهكذا؛ صور لنا الشاعر الإسرائيلي بن ناحوم مشهداً مصغراً لعمليات التفريغ التي تعرضت لها قرى فلسطينية بأكملها دون أن يقوى هو الأخر على الاعتراض؛ فقد جاء بالمشهد دون أن يعلق أو يبدى امتعاضاً مما يحدث؛ وكان مغرضاً في استبداله الأكواخ بالبيوت، فلم يعش الفلسطينيون في أكواخ فقط؛ فيبدو أنه يسير على نهج الأدباء والشعراء الإسرائيليين الذين دأبوا على الحط من قدر الفلسطيني بعد

Scanned with CamScanner

١٩٤٨؛ في محاولة لتهميشه وتغييبه.

كما أن عنوان القصيدة - (قرية مهجورة)- يتسق مع مخططات التغييب والطمس التي تتبعها السلطة الإسرائيلية مع القرى الفلسطينية المفرغة؛ حيث يأتي "الاستشهاد بالقرى (المهجورة) كمحاولة لتضميد الجرح الفلسطيني في الشعر العبري؛ وفى نفس الوقت يأتي التعبير الشائع (مهجور) ليخدم ذلك التغييب؛ ويسهل من عملية الإصلاح المستقبلي؛ ويضفى نوعاً من الضبابية على العنصر المسئول عن تفريغ أو إخلاء القرية"(١٨).

(٢) وفى قصيدة أخرى بعنوان "שרידים מול הים" (أطلال أمام البحر)؛ نشرتها صحيفة هآرتس في ٦-١٠-١٩٥٠؛ وتضمنتها هذه المجموعة الشعرية؛ يطالعنا الشاعر الإسرائيلي يحيئل مر بصورة أخرى من صور التفريغ والتخريب والتغييب؛ التي تعرضت لها المدن والقرى الفلسطينية في هذه الحرب؛ حيث يقول:

هنا تعج الحياة؛ وينتصر الدمار

مع أمان صاخبة وبكاء عسر

وصورة المرأة منفوخة البطن

وهي تسير بحذر بين أطلال البيوت.

هكذا يبدو الحجر عابساً في مواجهة هتاف السماء

وحطام إنسان في شارع الدمار

وبحر يقذف أجمل ما فيه عند حمرة الشمس

إنه البحر اللاعق لأقدام القصور.

وعجوز فوق كومة من الركام تنحنى في عبوس؛

ومن الأكواخ تبدو عينان تموتان جوعاً

وعلى بعد؛ تصدم قصيدة بهيجة لبلدة صغيرة

وبحر قريب يغازل الرمال الكئيبة.

هنا تعج الحياة؛ وينتصر الدمار

مع أمان قوية وبكاء عسر

Scanned with CamScanner

وصورة المرأة منفوخة البطن

وهي تسير بحذر

بين أطلال البيوت (١٩)

بدأ الشاعر قصيدته برسم لوحة فنية جمع فيها بين النقيضين؛ وهما "الحياة والدمار" معاً؛ وكأنه يعرض لنا مشهد حي من مشاهد الدمار والخراب التي ضجت بها الحياة "هنا"؛ دون ذكر للمكان أو هويته؛ فبينما "تعج الحياة بالضجيج" وإذا بالدمار والخراب "ينتصر"؛ في تصوير يبين لنا صراع إحدى المدن الفلسطينية الساحلية بين الحياة والموت. فها هي امرأة فلسطينية "منفوخة البطن"، لم يخرج وليدها بعد للحياة. تمشي بين أنقاض البيوت؛ وتفكر في مصير هذا الوليد الذي سيخرج "للدمار لا للحياة"، بلا مأوى.

لقد تحطمت "أمانيها" وتعسر "البكاء" من فرط الحزن والانكسار؛ فالدمار صارع الحياة في مدينتها وأتى عليها منتصراً .حتى أن "الحجر بدا عابساً" وكئيباً. وهكذا بقيت هذه المرأة "حطام إنسان في شارع الدمار"، كما يقول الشاعر الإسرائيلي، وهكذا أيضاً بقي "البحر بجماله عند حمرة الشمس" وهو "يلعق أقدام القصور" التي حلمت بها هذه المرأة لوليدها، ولكن الأمر حسمه الدمار الذي لحق بأهلها وبيتها التي بدت ركامه و"أحجاره عابسة" وكئيبة.

ويرسم لنا الشاعر أيضاً مشهداً آخر لامرأة فلسطينية "عجوز"؛ فهي نقيض للمرأة الشابة، ورمز للوجود الفلسطيني الجذري على هذه الأرض، فهي تسير "منحنية بين الركام في عبوس"؛ بينما تبدو "من الأكواخ عينان أخريتان تموتان جوعاً" في شوق إلى الحياة التي سلبها هذا الدمار، فلم يفرق بين كبير وصغير؛ أو حتى وليد لم يخرج للحياة بعد.

وهكذا جمع الشاعر الإسرائيلي في هذه القصيدة كل المتناقضات للتعبير عن الواقع الذى صار عليه الفلسطينيون فجأة بعد هذه الحرب؛ فقد جمع بين "الحياة" والموت أو "الدمار"، وجمع بين "الأكواخ والبيوت والقصور"؛ وجمع بين "الشابة

Scanned with CamScanner

والعجوز" وجمع بين "الأماني والعبوس"، ولكنه آثر التغييب بقوله "هنا"؛ فـ"هنا" مكان دون هوية؛ وواقع تبدو فيه أهمية المكان لا الفرد؛ فالتعاطف الإنساني للشاعر يقابله "تغييب كافة الظروف المتعلقة بطرد الفلسطينيين من وطنهم، واقتراف المذابح في حقهم، وتجاهل اغتصاب أراضيهم وتهجير منازلهم؛ ولامبالاة لمصير اللاجئين الفلسطينيين"(٢٠).

٣) وفى صورة أخرى من صور الدمار والخراب الذي لحق بالمدن الفلسطينية خلال حرب ١٩٤٨؛ وفى إطار مخطط "التفريغ" الذي اتبعته الحركة الصهيونية، و"التغييب" التي اتبعته الدولة من بعدها؛ ينقل لنا الشاعر الإسرائيلي آفا كوبينر اشتعال إحدى المدن الفلسطينية بكل سكانها في قصيدته מראה חולות (مشهد الرمال)؛ حيث يقول:

من أشعل المدينة

دون أن يوقظ سكانها

فها هي تحترق؛ وتقولها

في ليلة ثالثة من الحرائق.

لم أعرف تلك المدينة

التي لم يوقظ سكانها النيام

لقد احترقت واختفت

ومن البحر هبت رياح على زقاق العصافير

فبدو بيض فوق جمرات النيران

بينما السماء أكثر انخفاضاً والليل يدنو

وإذا براعٍ يقترب ويبتسم أمام المدينة

أمام باب بدون مفصلة

بينما المدينة تغط في هدوء كالهاوية،

خاوية على عروشها؛ باستثناء كلب أحمر.

Scanned with CamScanner

رجع الراعي واغتسل عينيه
وإلى دائرة النار وصلت قطعانه
فالتهمتها في جنون بالمدينة الكبيرة
التي لم يعرف الراعي اسمها (٢١).

هكذا بدأ الشاعر قصيدته بسؤال استنكاري عن الذي أشعل النيران في مدينة بأكملها "دون أن يوقظ سكانها"، وقد التهمت النيران "في يومها الثالث" كل الحقول وقضت على الأخضر واليابس في غفلة من الزمن.

وقد أنكر الشاعر أيضاً معرفته بهذه المدينة حين قال؛ "لم أعرف تلك المدينة"؛ وهو إنكار يشير إلى فكرة التغييب التي اتبعها أغلب الشعراء الإسرائيليين من ناحية؛ وإلى حجم الدمار والخراب الذي حل على تلك المدينة، الأمر الذي حال دون التعرف على معالمها من ناحية أخرى. وقد لجأ الشاعر إلى طمس هوية هذه المدينة الفلسطينية مع الراعي العربي أيضاً "الذي لم يعرف اسمها"، وهو أمر غريب؛ فمن البديهي أن يكون الراعي على علم بهذه المدينة التي يرعى فيها قطعانه.

ورغم تصوير الشاعر الإسرائيلي في هذه القصيدة لحجم المأساة والنكبة التي تعرض لها الفلسطينيون؛ حيث صور تفحم "العصافير على جمرات النيران" و"اقتراب السماء" من الرؤوس بفعل الدخان الكثيف المتصاعد، فإنه لم يتخل عن الصورة النمطية للعربي الفلسطيني التي شاعت في الأدب الإسرائيلي في أعقاب هذه الحرب؛ وهي صورة العربي الراعي الذي يسكن الأكواخ والبيوت اللبنية؛ والتي يستيقظ سكانها على "نباح الكلاب". وهي الصورة التي ظهرت في الكثير من الأعمال الأدبية للشعراء والأدباء الإسرائيليين بهدف تهميش العربي وتغييبه؛ بعدما ظهر لهم نداً قوياً يصارع من أجل قضيته.

٤) وفى قصيدة طويلة عن النكبة وتفريغ القرى الفلسطينية؛ يطالعنا الشاعر الإسرائيلي المعروف حاييم جورى بمشاهد التهجير والحرق والدمار التي تعرضت له القرى الفلسطينية في هذه الحرب؛ ففي قصيدته בנוף הכפרים הנטושים (في

Scanned with CamScanner

مشهد القرى المهجورة) كتب يقول:

بينما كنت سائراً؛ والطريق طويل
بين صفورك؛ وهلال سماءك
في طريق الأشجار؛ والمنحدرات العالية
مشمسة؛ تملؤها سحب الدخان
فإذا بالجبل يتنسم القحط والكرب
وجذور الشجيرات تحترق
بين رائحة الدخان وركض العقرب
مع طلقات فارغة؛ وبقايا نفايات أعدائي.
وذاك الدم بين فلق شفتاي
وملح العرق كالدمع المرير؛
وهجر الجمر على أبواب المغارات
وأشجار الصنوبر ضاربة في طريق إرثي.
في الماضي كان ليلك يهبط ساحراً كحيلاً
تبدو فيه حمرتك كرمز لعلمي
وتبدو فيه أثار دماءك في أصالة دمي
وصفوة ابتسامتك تذوب في الآلام،
ذاك ليل الأساطير؛ سيرة حياتي
في بلاد تنضح بالخوف والنار،
يبدو فيه سراج الليل كالنفس التي تحتضر،
وفيه العشب يلتصق بوجنتي.
في الأفق البعيد يفقدون بارقة الضوء؛
وهو يقبع على وجه الهضاب العالية.
وكلاب تبكي الآن في بلاد الصمت.

Scanned with CamScanner

وعصفور يقفز من الخوف
في الطريق الترابي الخالي من البشر
يكسر امتداده، وينحرف نحو المنحدر
إلى وحشة البساتين؛ إلى الطبيعة المفقودة
إلى سخام الزاوية وخيوط العنكبوت.
وهذا ولدك يعبر؛ مثلما كان منذ سنوات
ناضج في براءته، مخلص طوال عمره

....

يراك أدراج الريام
إلى أخمص التلال في حمرة الشمس
وفي صخب العواصف وركض التحدي.
هناك التقاه الباكي؛ والضاحك
وحتى طلوع فجرك ظل يركض على الأحجار
خفي فوق صخورك كأنه في أحضان امرأة
تحمله رياح البحر البعيدة إلى البر
فهبة الغريب العابس: برد وسحاب (٢٢).

بدأ جورى قصيدته أيضاً بحديثه عن مدينة مجهولة لم يذكر اسمها؛ في محاولة للتعبير عن مدى الخراب الذي لحق بالمدن الفلسطينية ومحاولات تفريغها؛ وهو من الشعراء الذين كتبوا عن الحروب حيث خدم في البالماح وشارك في حربي ١٩٦٧ و١٩٧٣. وفى هذه القصيدة تصور نفسه سائراً في "طريق طويل" تملؤه "المنحنيات العالية"؛ فإذا "الجبال تتنفس القحط والكرب"؛ في أعقاب هذه الحرب؛ وهو تعبير جميل ومعبر؛ فالجبال التي لا تهزها الرياح ها هي تتأثر بالخراب؛ حيث احترقت الأشجار إلى "جذورها"، وملأت طلقات "الغدر" كل مكان؛ وعم الخراب أرجاء المدينة. لقد ذابت تلك المدينة، التي اشتهرت في الماضي بـــ " ليلها الساحر

Scanned with CamScanner

والكحيل"، في "الآلام"، وانضمت إلى "بلاد تنضح بالخوف والنار"؛ وأصبحت "خالية من البشر" في إطار التفريغ الممنهج؛ وهو الهدف الأساسي لتلك الحرب.

وقد واصل جورى وصفه لهذه المدينة كنموذج لسائر المدن التي تعرضت للخراب والتفريغ على أيدي غزاة لم يذكر عنهم شيئاً في هذه القصيدة؛ فقد اكتفى بالوصف دون أن يذكر ولو في شطر واحد من فعل هذا؟ فربما لم يقو على الإدانة في فترة كان فيها الشعر الإسرائيلي مسانداً ومبرراً، وربما يكتب عن فاعل معروف -دولته- لا يرى ضرورة لذكره؛ فما فعله أهم بكثير؛ فقد جرد إناس من وطنهم وطمس معالم مدنهم وقراهم؛ وربما يكتب مفتخراً بما فعله الجنود اليهود، وهو أمر يصعب تصديقه فلا يمكن أن يفخر أو بتغنى شاعر بخراب ودمار.

ورغم عدم ذكر هوية هذه المدينة أو اسمها؛ فقد أحسن جورى وصفه للخراب الذي لحق بهذه المدينة؛ حيث أخذه "الطريق الترابي الخالي من البشر" إلى "وحشة البساتين والطبيعة المفقودة"؛ حيث يخاطب جورى هذه المدينة قائلاً: "إن ولدك...المخلص طوال عمره" يراك دوماً في فصل الخريف "أدراج الرياح" حيث "البرد والسحاب والرياح".

ولا شك أن مسألة تغييب المدن الفلسطينية قد يساهم في تنشئة أجيال إسرائيلية تؤمن بعدم وجود قرى فلسطينية مفرغة تحت مستوطناتهم؛ حيث تقول الباحثة الإسرائيلية نوجا كدمان في كتابها (على جانبي الطريق وهوامش الوعي): "إن نظرة الجهل التي رأيت من خلالها وأنا طفلة؛ خرائب قرية (لفتا)، ورؤيتها كمنظر طبيعي قديم وليس كموطن للفلسطينيين قبل تهجيرهم؛ تشكل تعبيرا لذلك"(٢٣)؛ فالصورة العامة المنقولة للإسرائيليين نابعة من الرواية الصهيونية المهيمنة التي تزيف التاريخ والجغرافيا معاً.

وتوضح الدراسة التي أعدتها كدمان؛ أن التضييق على القرى الفلسطينية المهجرة وتاريخها أدى إلى التقليل من أهميتها الكبيرة في فهم الصراع لدى الإسرائيليين؛ حيث تقول: "وهذا بالتالي ترك انعكاسات سياسية آنية، فتجاهل

Scanned with CamScanner

ملابسات تفريغ القرى من سكانها الأصليين؛ من الزلزال الذي ضربهم عام ١٩٤٨ ومن نتائجه على اللاجئين حتى اليوم يحيد البعد الإنساني لحالة الفقدان الفلسطينية وينزعه من صورة الصراع بالنسبة للإسرائيليين"(٢٤). ويتسبب ذلك، بحسب الدراسة، في تسطيح الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي المركب في وعي الإسرائيليين؛ وفي نقل مركز الثقل من الثمن الشخصي الباهظ الذي سدده اللاجئون الفلسطينيون وما زالوا؛ وفي تعزيز نظرة شيطنتهم من قبل الإسرائيليين.

٥) وفي قصيدة בשדית אשקלון (في حقول أشكلون) التي نشرت في صحيفة دافار في نوفمبر ١٩٥٥، كتب الشاعر الإسرائيلي أفرايم تلمى عن حركة إحلال المستوطنات اليهودية محل البيوت الفلسطينية، ورسم لنا صورة من صور تَرامى المستوطنات على أطراف المدينة؛ وذلك بعد مرور سبعة أعوام على هذه الحرب، فكتب يقول:

عماقة القيظ الكئيب

تهتز مثل الماهول (٣٥)

تأخذنا إلى آفاق بعيدة

حيث تترامي المستوطنات ملء السهل

والبيوت يغمرها ضوء النهار

وشجر السرو تحوطه الظلمة.

قرية مهجورة بدماء وثكل؛

وكرمة عنب تستريح في الرمل

وشجرة جميز مقتلعة من الجذور

ونخلة وحيدة، عالية

إلى السماء الزرقاء فارعة

تتأمل باسطة كفيها

بين شذا ركام

Scanned with CamScanner

"جبعوليم" والشجيرات؛ وتفسخ

الأوراق في شجن الذبول؛

وأسى الفريف الرقيق

الذي يقرس القلوب

ليبقى الصمت هناك

ويتلاشى في "أورام"(٢٦).

إن أول ما يلفت النظر في هذه القصيدة هو عنوانها (في حقول أشكلون)؛ فقد آثر الشاعر الإسرائيلي أن يستخدم الاسم العبري لمدينة عسقلان أو المجدل الفلسطينية قبل أن تطلق عليها إسرائيل "أشكلون"؛ وذلك على الرغم من أنه يتحدث عن المدينة الفلسطينية وهي تحترق وتتوارى؛ وتستبدل بالمستوطنات الإسرائيلية التي ترامت على أطرافها وعلى أنقاضها؛ كما يقول الشاعر.

ويشكل اليهود اليوم السواد الأعظم من سكان تلك المدينة، بعد تهجير أهلها العرب في هذه الحرب حيث انتقل الكثير منهم إلى قطاع غزة. وأقدمت بعدها المنظمات اليهودية المسلحة بعد احتلالها للمدينة في نوفمبر ١٩٤٨ على هدمها، وأقامت إسرائيل على أراضيها مدينة "أشكلون". ويعتبر الجامع الكبير الذي بناه "سيف الدين سلار" أحد إمراء المماليك عام ١٣٠٠؛ من أبرز آثار مدينة المجدل الفلسطينية.

ولا شك أن أغلب القرى الفلسطينية المهجرة تشيع في المجتمع الإسرائيلي بأسماء معبرنة؛ وقد استخدمت إسرائيل تلك المسميات ووضعت الخرائط لها؛ لتهويد البلاد لا سيما وأن المواجهة على المسميات والخرائط؛ تشكل ساحة مهمة في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، فيما يعكس استبدال أسماء المكان الانقلاب الديموغرافي الذي قامت به الصهيونية ومن بعدها إسرائيل في فلسطين.

وتشير دراسة الباحثة الإسرائيلية نوجا كدمان إلى أن "تغييب الأسماء العربية للمدن والقرى الفلسطينية يعد إصدار حكم بتأبيدها في مجاهيل النسيان؛ كما أشارت

Scanned with CamScanner

تلك الدراسة إلى وجود ٩٠٠٠ اسماً عربياً لأماكن في فلسطين اكتملت خلال ١٤٠٠ سنة-منذ الفتوحات العربية؛ فيما شكلت الأسماء العبرية ٥% فقط من أسماء المواقع في الخرائط الانتدابية للبلاد" (٢٧).

واستكمالاً لعملية التغييب، وصف تلمى "ترامى المستوطنات ملء السهل"؛ فاكتملت بها عمليات التفريغ ونجح المخطط، فلم لا تكتمل؟ وقد صارت "قرية مهجورة بدماء وثكل" أو بالأحرى تم تهجير سكانها بسفك الدماء والتخريب. وقد صور الشاعر صور الخراب بجوار المستوطنات التي شرع الاحتلال الإسرائيلي في بناءه؛ ليعطي لنا صورة للهدم والبناء في آن واحد؛ حيث تشييد المستوطنات على أنقاض القرى والمدن الفلسطينية.

"لقد بدأ الشاعر قصيدته بوصف نموذجي للساحة الإسرائيلية الجديدة بعد الحرب... فمن وجهة نظر المتحدث في هذه القصيدة فإن ما يعيب الاحتفال بهذه الأرض هو القرية المهجورة التي لم نذكر أبداً في القصيدة؛ فغيابها يبرز والعكس؛ فاكي تمحى بشكل فاعل من الطبيعة المرسومة في القصيدة فيجب تذكرها. لقد تطرق تلمى في الحقيقة إلى المعاناة الفلسطينية التي وقعت؛ ولكنه من جانب آخر؛ لم يذكرها"(٢٨). فها هي "كرمة عنب تستريح في الرمل" و"شجرة جميز مقتلعة من جذورها"؛ بينما "بقت نخلة وحيدة فارعة" تبسط كفيها "إلى السماء في تأمل" للخراب الذي لحق بالحقول التي تبدل "شذاها" بـ "رائحة الركام" للمستوطنات اليهودية الجديدة مثل مستوطنة "جبعوليم"؛ وهي مستوطنة تنتمي إلى سلسلة مستوطنات (هابوعيل همزراحى) بشمال النقب. و"ذابت الأوراق في شجن الذبول" وأخذ "الخريف يقرس القلوب"، بينما دبت الحياة في مستوطنة (أوراه)، وهي إحدى المستوطنات التي شيدها يهود اليمن عام ١٩٥٠جنوب غرب القدس.

وهكذا أخذنا الشاعر في رحلة تصويرية من خلال صورتين متجاورتين متناقضتين؛ صورة (الخراب) الذي لحق بالمدن الفلسطينية التي حط عليها الصمت والذبول عام ١٩٤٨، وصورة (الحياة) ودبيبها في المستوطنات اليهودية التي لاحت "في الآفاق البعيدة" من المدينة الفلسطينية المفرغة.

Scanned with CamScanner

ويمكن القول: إن الفكرة الرئيسة للقصائد السابقة تكمن في نقطتين رئيستين وهما:

(١) تغريب المدن الفلسطينية وعدم ذكر أسمائها العربية فيما يشبه الاتفاق بين الشعراء على هذا التغريب الذي يعبث في الواقع التاريخي والجغرافي لهذه المدن والقرى الفلسطينية.

(٢) التعاطف الإنساني الذي بدا في هذه القصائد التي هزت وجدان عشاق الكلمة والحرف، وأشعلت فيهم الحماس والعواطف وأججتها، وفجرت فيهم ينابيع الشعر وأمدتهم بطاقة الإبداع؛ لا سيما وأن أغلب الشعراء شاركوا في غمار هذه الحرب؛ فانطلقت قصائدهم الصاخبة والغاضبة لتتجاوب مع الضمير والنبض الشعري. ولكن من الغريب أن هذا التعاطف كان موجهاً للطبيعة الفلسطينية فحسب.

ثانياً: الممارسات والجرائم الأخلاقية للجنود الإسرائيليين:

قام الميليشيات اليهودية المسلحة بتهجير أكثر من مليون فلسطيني تقريباً؛ فأجبروهم خلال أحداث النكبة على الخروج من منازلهم ومدنهم وقراهم، حيث سلبت أراضيهم وأملاكهم ومقتنياتهم وصاروا لاجئين بلا وطن أو مأوى، وقد رحل أغلبهم إلى الأردن وقطاع غزة والضفة الغربية، بينما رحل الباقي إلى سوريا ولبنان.

وقد ارتبطت عمليات التهجير والاقتلاع الجماعي للفلسطينيين بالانتهاكات الخطيرة غير الإنسانية، حيث اقترن ذلك بممارسات وحشية غير أخلاقية عبر هجمات عسكرية مباشرة على الأماكن المأهولة بالمدنيين، وارتكاب المجازر، والنهب والسلب، وتدمير الممتلكات وقرى بأكملها؛ والتهجير القسري للسكان.

وقد احتوت هذه المجموعة الشعرية؛ بالإضافة إلى القصائد؛ على الكثير من الشهادات الفلسطينية التي تؤكد على تلك الجرائم الإسرائيلية. وعلى سبيل المثال: يقول حسن العجو المولود عام ١٩٣٠ في اللد؛ في شهادته الواردة بين صفحات هذه المجموعة الشعرية وتحت عنوان (قليل جداً من المشاهد الطبيعية، كثير جداً من القتل): "بينما كنا نتجول للبحث عن طعام في البيوت التي هرب منها الناس؛ رأيت بعيني جثث رجال متورمة في الشارع؛ وامتلأت البيوت بعجائز متورمين وموتى...

Scanned with CamScanner

وفي الطريق إلى البيت؛ كانت الجثث ملقاة في كل مكان. عندئذ ذهبنا إلى عائلة عجو في نهاية اللد؛ وبقينا هناك في الكروم شهراً تقريباً، بلا عمل، وبلا قمح أو شعير، بلا أي شيء. عبرنا البيوت التي تم اقتلاع الناس منها لنبحث عن طعام أو شراب ولكن بلا جدوى"(٢٩).

١) وقد احتوت هذه المجموعة الشعرية على بعض القصائد التي تناولت فظائع حرب ١٩٤٨ ضد الفلسطينيين؛ والممارسات غير الأخلاقية للجنود الإسرائيليين التي اقترفوها في حق النساء والأطفال والشيوخ الفلسطينيين. ففي قصيدة بعنوان על זאת (على إثر ذلك) -نشرتها صحيفة هآرتس في نوفمبر ١٩٤٨-وأثارت جدلاً كبيراً بين النقاد الإسرائيليين؛ نقل لنا الشاعر الإسرائيلي المعروف ناتان ألترمان صورة من صور الجرائم الأخلاقية؛ التي ارتكبها الجنود الإسرائيليون لتنفيذ مخططات التفريغ والهدم ضد القرى والمدن الفلسطينية؛ حيث يقول:

في المدينة المحتلة؛ بعد فوق إحدى العربات

صبي شجاع؛ بطل؛ مسلم؛

وفي الشارع المدمر

شيخ وامرأة

يقفان بجوار الحائط

ابتسم الصبي فكشف عن أسنان بيضاء؛ وقال:

سأجرب المدفع... وجرب

فقط غطى الشيخ وجهه بيديه

وغطت دماؤه الحائط

أيها الأعزاء... تلك مشهد من معارك الحرية

فهناك شجعان كثيرون، وليس هذا بسر

فمعركتنا تقتضي التعبير والأغاني

Scanned with CamScanner

حسناً...فلننشد لها؛ عن هذا.
ننشد لها؛ حينئذ؛ عن حالات حساسة
تسمى، بالمناسبة، قتل
فلننشد عن أحاديث السامعين المدركين
عن سخرية العفو والصفح.
وحشية تلك هي الحرب؛ فالواعظ الورع
يعود منها بقوة
لكن. إذاً
باسم الاستقامة والرحمة
ليس أكثر منها وحشية
فالهدوء الهامس إلى العدم "حقا".
قد بدت ملامحه في المرآة
جندي عبري يقف مدافعاً
عن بلادة العبريين
وحرب الشعب واجهت بجسارة
الفيالق السبعة
لملوك الشرق؛
غير عاجزة؛ حافظة لـ "لا تخبروا في جت"؛
شجاعة جراء ذلك (٣٠).

عبر ألترمان في هذه القصيدة عن الجرائم الوحشية التي ارتكبها الجنود الإسرائيليون في هذه الحرب. ومثلما يقول حيفر في مقدمة هذه المجموعة الشعرية؛ فقد كتب ألترمان هذه القصيدة تعبيراً عن المذبحة التي وقعت في مدينة اللد في الثاني عشر من يوليو ١٩٤٨؛ والتي قامت بها كتائب البالماح ضد الفلسطينيين. ويرى حيفر في هذه القصيدة أنها "تمثل خروجاً عن المألوف في إخفاء الممارسات غير

Scanned with CamScanner

الأخلاقية للجنود اليهود... فقد كتبها بعد خمسة أشهر من المذبحة التي شهدتها مدينة اللد الفلسطينية في إدانة واضحة ورفض قاطع لتلك المذبحة"(٣١).

ولكن ألترمان لم يعترف بمسئولية هذه الجرائم في هذه القصيدة؛ حيث يرى أمير بنباجي أنها "تتحدث عن ظلم معين وقع في حرب ١٩٤٨. ومن جانب آخر؛ فهي تتعرض في نهاية الحساب الى الرؤية الصهيونية؛ فهذه الرؤية ترفض الاعتراف بالمسئولية أي كانت تجاه النكبة الفلسطينية؛ وتجاه مشكلة اللاجئين المستمرة حتى وقتنا هذا"(٣٢).

وعل أول ما يلفت النظر في هذه القصيدة هي بدايتها التي تصف مشهداً من مشاهد هذه المذبحة في تلك "المدينة المحتلة"؛ وكأنه اعتراف صريح بالاحتلال، فقد "صعد صبي شجاع ومسلح" -ولم يقل جندياً- على "عربة جيب" تقف في أحد "الشوارع المدمرة"؛ وسمح له بالعبث في المدفع ليجربه؛ فقتل "رجلاً مسناً" كان يقف بجوار زوجته "ليكتسي الحائط بدمائه". ويبين وجود ذلك الصبي؛ حالة الاستهتار بالبشر غير اليهود؛ فليس هناك فارق بين الجندي والصبي في هذه الحالة؛ فالهدف واحد وهو التدمير.

ويؤكد ألترمان في الجزء الثاني من القصيدة التي يمكن اعتبارها وثيقة عسكرية، على أن ذلك "مشهد من معارك الحرية"، الحرية التي تأتى بالجرائم غير الأخلاقية وعلى حساب قتل الآخرين، والتي يسميها جيشه بالشجاعة حيث هناك "شجعان كثيرون" سفكوا الدماء ومارسو أحط الأخلاق باسم "الحرية"؛ التي لكى تنعم بها في تلك المعركة فعليك بسحق الآخرين باسم الدين؛ كما يقول ألترمان؛ فـ"الواعظ الورع" يعود منها أكثر قوة وجسارة.

نعم اتسمت هذه الحرب بالوحشية حيث يقول: "وحشية تلك هي الحرب" و"ليس أكثر منها وحشية"؛ فقد مارس فيها الجنود الإسرائيليون كل أنواع العنف والجرائم باسم الدين؛ وكلهم ثقة بأن جرائمهم لن تكتشف "فلن يخبروا عنها في جت"؛ كما يقول ألترمان في نهاية القصيدة، لا سيما وقد استمدوا العبرة من مرثية داوود في العهد القديم؛ التي رثى فيها شاؤول وابنه يوناثان في الإصحاح الأول من سفر

Scanned with CamScanner

صموئيل الثاني، بعد أن قتله أحد العماليق فأخبر قومه بألا يحكوا عن تلك الهزيمة في جت ولا في ساحات أشكلون. وكذلك فالصمت واجب تجاه الجرائم الأخلاقية والممارسات اللا إنسانية. "لقد اتخذ ألترمان من الشعر وسيلة لمواصلة نقده اللاذع ضد سلوك الجنود الإسرائيليين؛ وحول هذه القصيدة الاحتجاجية إلى قصيدة وثائقية تسجل عمليات الطرد والتنكيل للمواطنين الفلسطينيين من قبل الجيش الإسرائيلي"(٣٣).

والغريب في الأمر أن ألترمان كواحد من أشهر الشعراء العبريين؛ حيث يعد الشاعر العبري الصهيوني الأكبر بعد حاييم نحمان بياليك؛ يتحدث عن تلك الجرائم. ومع هذا؛ فهو يعرض في قصائده صوتاً يهودياً صهيونياً، حتى وإن كان يتعاطف مع المعاناة الفلسطينية. إنه لا يستطيع محو الحقيقة التي تقول، إنه الشاهد على الصمت وفي نفس الوقت هو صوت الشخص المسئول عنها. وهو ما يؤكد عليه حانان حيفر بقوله: "يبدو أن هذا التعاطف ينبع من جرح قديم لدى الشاعر؛ أو (جرح بديل)؛ وهو الجرح الذى ينبع من إدراك وفهم لمصير الآخر وشأنه. فهو هنا يرهن جرح الآخر بالجرح الخاص به. لا سيما وقد اكتوى به من قبل في أحداث النازي؛ وكتب عنه في (قصائد ضربات مصر) ... ومن ناحية أخرى؛ فإن ألترمان يستعرض في قصائده صوتاً يهودياً صهيونياً يتعاطف مع المعاناة الفلسطينية، ومع هذا فإنه لا يستطيع أن يمحو حقيقة أنه رفض العودة الفلسطينية. فقد اشتمل هذه الصوت الهجائي المسيطر في قصائد (مدينة الحمامة)، على الصوت اليهودي الصهيوني الذي يصف من وجهة نظره أحداث الحرب. ولكن صاحب هذا الصوت؛ هو السبب الرئيس في هروب الفلسطينيين وطردهم، وهو الذي هزمهم في هذه الحرب. بمعنى أن الصوت الصاعد من (مدينة الحمامة)؛ أي الصوت الشاهد على الجرح؛ هو في نفس الوقت الصوت المسئول عن حدوثه"(٣٤).

لقد كان ألترمان آنذاك في خانة الشاعر "القومي" للكيان اليهودي على أرض فلسطين؛ حيث تحول بعد كتابة دواوينه الثلاثة (نجوم بالخارج ١٩٣٨؛ وسعادة الفقراء ١٩٤١؛ وقصائد ضربات مصر ١٩٤٤) إلى الصوت الرئيس في الشعر

Scanned with CamScanner

العبري آنذاك. وكان شعره يتميز بالصبغة القومية الصهيونية؛ إلى أن كتب ديوانه (مدينة الحمامة) بعد عقد من إقامة الدولة، وتحدث فيه عن الهروب الجماعي للفلسطينيين؛ وتطرق إلى الجرح الفلسطيني في قصيدة (حرب المدن)، ووصفه بالجرح الغائر؛ وبدا متعاطفاً معهم. ولكنه يعترض على الوضع الذي خلفته حرب ١٩٤٨ من وجهة نظر صهيوني.

ويصف الناقد الإسرائيلي ايلاى هيرش هذه القصيدة بأشعار البلاط التي تكتب من أجل السلطان أو الحاكم؛ حيث يقول: "لم يكتب ألترمان هذه القصيدة كواعظ؛ بل كشاعر بلاط يخدم السلطان، حيث تهدف هذه القصيدة إلى وضع خط فاصل بين جرائم الحرب التي نفذت من خلال تفاصيل ضالة على هامش المعارك؛ وبين السياسة الإسرائيلية الشاملة خلال هذه الحرب. وهي الرؤية التي دعمها الشاعر الإسرائيلي يتسحاق لاءور في كتابه (نحن نكتبك أيها الوطن)، وفيه ذكر لاءور أنه ليس بالضرورة أن يكون هدف ألترمان توضيح الأمور والكشف عنها؛ بل طمس معالمها. ولأكثر دقة إفراد وتوضيح جرم معين شريطة؛ إخفاء جرائم كبيرة أخرى"(٣٥).

ويرى الناقد الإسرائيلي ايريز شفايتسر أن هذه القصيدة "تحتوي على خطاب مزدوج؛ فقد رفعت صوت الاحتجاج ضد المذابح التي اقترفها الجنود اليهود الشبان ضد العرب؛ وهي المذابح التي أبعدت وأخرست من الحديث العام؛ وفى نفس الوقت فهي تتحدث عن حدث استثنائي يدعو فيه الى معاقبة الفرد لتطهير المعسكر كله"(٣٦).

٢) وفى تعبير آخر عن الممارسات غير الأخلاقية التي قام بها الجنود الإسرائيليون في هذ الحرب؛ عبر لنا الشاعر الإسرائيلي آريه لودفيج ستراوس عن تلك الفظائع التي لم تنجو منها الفتيات والنساء الفلسطينيات، فكتب قصيدته الطويلة "יד פאטמה (يد فاطمة)؛ ليرثى فيها الفتاة الفلسطينية "فاطمة"، التي تعرضت للقتل والاغتصاب من قبل بعض الجنود الإسرائيليين؛ وكأنها مرثية يرثى فيها دولته التي قامت على أجساد وأنقاض شعب آخر. وقد كتب ستراوس هذه القصيدة بعد أن نشرت صحيفة "يديعوت أحرونوت" عدداً من القصص حول حالات اغتصاب

Scanned with CamScanner

تعرضت لها فتيات فلسطينيات في هذه الحرب، فكتب يقول:

بكر رقيقة؛ تلك هي فاطمة؛

صبية لا تعرف أحداً؛

حالمة في بيت أبيها؛

فجأة؛ حط عليها كابوس في الطريق؛

سيارة تطل منها عيون الرغبة؛

امتدت منها أيادي الغدر؛

فارتجفت أصابعها؛

وصارت فريسة في ثانية؛

ريام؛ ريام؛ ريام

صرخة وفاجعة؛

فالرثاء لفاطمة؛

والرثاء لإسرائيل.

اختطفت إلى الرمال؛

غاصت بينهم في البحر؛

مثلوا بها؛ وفعلوا بها

الشر؛ الذي هو خير في أعينهم

فهاج البحر؛ وصرخ الليل؛

سبعة ملاعين؛ يفترسون صبية واحدة؛

ريام ريام؛ ريام.

فلنذرفوا الدمع نهاراً وليلاً؛

فالرثاء لفاطمة والرثاء لإسرائيل.

دنسوها؛ وأنفسهم

شعبها وشعبهم

Scanned with CamScanner

دنسوا نور كوكبنا؛

في البر والبحر.

دنسوا طهارة السلاح؛

المدافع عن وطنهم؛

دنسوا طهارة الرغبة؛

التي في ولعها؛ تتوالد الشعوب.

ريام؛ ريام؛ ريام

لا تكفوا عن الحسرة والندم؛

فالرثاء لفاطمة؛

والرثاء لإسرائيل.

في الرمال؛ دفنوا جثتها

خشية الفضح؛

تناسوا؛ خفة الرمال؛

ودأب الريام؛

وهي تحمل حبات الرمال؛

كاشفة عن أصبع الصبية؛

تحمل حبات الرمال؛

تداعب يدها؛

تحفر وتحفر؛ إنها الريام

حتى انجلى الليل؛

كاشف عن بلاء فاطمة؛

وخزي إسرائيل.

فرجوا المقصد في الفجر؛

وإذا بيد تميل للسواد؛ تنبت في الرمال؛

Scanned with CamScanner

فتسمروا؛ وأنصتوا

يد تنضم بالجرم

وترقد في عتمته

يد على حافة الدنيا

ترتعد فيها الشمس وهي تشرق؛

يرتعد فيها الإنسان والبحر

ريام؛ ريام؛ ريام

فلا تكفوا عن الحسرة والندم؛

فالرثاء لفاطمة

والرثاء لإسرائيل (٣٧).

هكذا؛ عبر لنا الشاعر الإسرائيلي آريه ستراوس عن صورة أخرى من صور الجرائم الأخلاقية التي مارسها الجنود اليهود في حق الفلسطينيات. ففي هذه القصيدة الطويلة، نقل لنا ستراوس تفاصيل حادثة قتل واغتصاب لإحدى الفتيات الفلسطينيات. ويبدو أن الشاعر كان يمتلك معلومات دقيقة عن هذه الحادثة؛ إلى درجة معرفته باسم الفتاة الفلسطينية "فاطمة". فقد كانت "صبية بكر رقيقة" و"حالمة في بيت أبيها" ينتظرها الأمل والحياة؛ إلى أن نهشت جسدها "أعين الرغبة"؛ فامتدت إليها "أيادي الغدر"؛ فتحولت في لحظة إلى "فريسة". لقد وقعت في أيدي سبعة من الجنود اليهود الذين لم يرحموا "صرخاتها" أو "صباها"؛ فاغتصبوها ومثلوا بجثتها.

ولم يختتم الشاعر الجزء الأول من قصيدته بـــ "رثاء فاطمة" فحسب؛ بل دعا الجميع إلى "رثاء دولته" التي لم تستحق أن تولد؛ لأنها قامت على أجساد النساء الفلسطينيات والنهش في لحمهن؛ "فالرثاء لفاطمة، والرثاء لإسرائيل".

واستكمالاً لتفاصيل هذه الحادثة المروعة التي نقلها لنا ستراوس في قصيدته؛ فقد أخذها الجنود اليهود إلى البحر و"غاصت بينهم؛ ومثلوا بها؛ وفعلوا فيها الشر"؛ الذي اهتزت له السماوات فـــ"هاج البحر" (וישאג הים) و"صرخ الليل" (ויזעק

Scanned with CamScanner

(٢/٢/٢)؛ وهما تعبيران جميلان يعبران عن فظاعة ما فعلوه بها من جرم، لا سيما وقد استخدم الشاعر هنا واو القلب الشائعة في العهد القديم؛ وكأنه يقول لهم في أي دين تقتلون وتغتصبون؛ حيث ينهى الدين اليهودي عن القتل والزنا. فـ"الرثاء لفاطمة ورثاء لإسرائيل"، كررها الشاعر مرة أخرى للتأكيد على الجرم الأخلاقي الذي قام به الجنود الإسرائيليون في حق فاطمة التي "دنسوها ودنسوا أنفسهم"، كما يقول الشاعر في قصيدته، بل أنهم "دنسوا شعبها وشعبهم"، فلم يلحق العار فقط بشعب فاطمة، بل الخزي والعار يلاحق هؤلاء الجنود المجرمين ودولتهم.

ولم يكتف هؤلاء الجنود بالاغتصاب؛ بل: "قتلوها ودفنوها في الرمال" على الشاطئ؛ لتفضحهم "الرياح التي حملت حبات الرمل وأخذت تحفر وتحفر. لتكشف عن يد فاطمة" التي باتت "ثابتة في الرمال"؛ حتى "تحلو الليل. ليكشف عن بلاءها" وما أصابها من عار، وأصاب أهلها ووطنها.

ويمضي الشاعر واصفاً هذا الحدث بتعبيرات جميلة تعبر ببلاغة عن حجم الجريمة التي ارتكبها الجنود الإسرائيليون في حق فاطمة؛ وهي "الجريمة التي ارتعدت لها الشمس وهي تشرق"؛ فها هي الشمس ترتعد من فرط الجرم والبلاء؛ وكذلك فقد "ارتعد البحر والإنسان". فقد يكون الأمر طبيعياً للإنسان الذي يفجع من اكتشافه لجريمة ما، أما ارتعاد الشمس والبحر فهو تعبير رائع يدل على حجم الفاجعة التي ألمت بتلك الفتاة؛ وحجم الجرم الذي ارتكبه هؤلاء الجنود؛ إلى حد تكرار دعوات الشاعر لـــ "رثاء فاطمة ورثاء إسرائيل" معاً.

ورغم هذه التعبيرات الجميلة التي أطلقها الشاعر وكانت معبرة عن هذه الجريمة غير الأخلاقية التي ارتكبها الجنود الإسرائيليون؛ فإنه كشف عن حقيقة توجهه الفكري فيما يتعلق بموقفه من الأرض الفلسطينية المغتصبة في هذه الحرب؛ حيث رأى أن ما فعله هؤلاء الجنود قد "دنس طهارة السلاح...المدافع عن وطنهم". وهو شطر يأخذنا إلى طبيعة رؤيته لهذه الحرب فهو يرى أنها حرب من أجل "استقلال وطن" لا من أجل "اغتصاب وطن" آخر؛ ارتكبت فيه دولته أفظع الجرائم وأبشعها على المستوى الإنساني. ومن هنا فهو ينتقد الحدث الفردي الذي ارتكبه

Scanned with CamScanner

هؤلاء الجنود ولم ينتقد العمل الجماعي القائم على القتل والتفريغ والتهجير للفلسطينيين.

"لقد جاءت النهاية في قصيدة ستراوس مشابهة لتلك الخاتمة المكررة (الرثاء فاطمة، والرثاء لإسرائيل). فالشاعر هنا يرثي وينعى صنيع الاغتصاب؛ ولكن تبين القصيدة في نفس الوقت أن أولوياتها هي الدفاع عن روح الشعب اليهودي، فهو لا يكتب رثاء عن فاطمة، بل رثاء عن إسرائيل ودفاعاً عن حرمة السلاح، وكذلك دفاعاً عن الجنس اليهودي (احترام الرغبة الجنسية). لقد تحولت الكارثة الفلسطينية في نهاية القصيدة إلى أداة مساعدة على خشبة المسرح؛ في هجاء أخلاقي يهودي؛ فالفلسطينيون يظهرون في قصائد ألترمان وستراوس فقط للمناقشة أو الحوار الداخلي حول طهارة سلاحنا"(٣٨).

ويرى الناقد الإسرائيلي بنباجي أن "مثل هذه القصائد -(على إثر ذلك) و(إد فاطمة) - تلتقي في الاعتراف بالظلم لأجل الدفاع؛ في نهاية الأمر؛ عن المشروع القومي الكبير. وقد تم عرض هذا المشروع عبر وصف للظلم والاعتداءات، كمشروع عظيم. ولهذا السبب، فحتى وإن اقترفت الذنوب والخطايا في تاريخه الواقعي، فسيبقى عبر تاريخه مشروعاً عظيماً، ولأجل هذا فهو محصن ضد النقد"(٣٩).

٤) وفي قصيدة تحت عنوان השאלה הנוקבת (السؤال الأساسي) نشرت في "كول هاعام" ١٩٥٣؛ تحدث الشاعر الإسرائيلي ألكسندر بن عن "المسألة العربية"؛ وأطلق على مشاريع الاستيطان "مشاريع الخزي والعار"؛ حيث كتب يقول:

بين أسئلة الامتحان؛
وتدور في دائرة مربكة
هناك سؤال عادي متمرد
سؤال "المعالجة العبرية"
فكم لذكرى الماضي فضل
للرابضين على دماء شعب
وفي تعقب امرأة
وفي طرد "العدو" الذي بدا

التي تهدم هوية دولتنا،
لمقرضي الاستغلال بالفائدة؛
يرتعد بين أيدينا؛
للمسألة العربية
وكم لزيف الحماقة فضلة
شتت وسحق بأكمله
حبلى تنتظر وليدها
في شخص العجوز ذات الثمانين.

Scanned with CamScanner

صدى هتاف النصر
جاء ليطوي أراضيهم
وكم "للشجاعة العبرية" شموخ
حكومتك يا إسرائيل؛ حكومتك
والشعب لن ترتجف يده
فمن جدر العناوين الرئيسة
يتدفق الجيش الإسرائيلي كالجان
في مخيم اللاجئين
لأن الشعب البريء يستدعي حياته
فوق حدود الإثارة الممنوحة
ليس أنا كي تخدعونني
لروح إسرائيل
تلك هي اليد الآكلة جذوع
تلك هي اليد الهادفة لوحوش
بين أسئلة الامتحان
سؤال "المعالجة العبرية"
يغرس في التربة زرعاً
في وضح النهار يغتنم الحيوان فريسة
في غلال الزرع كافية
تخط مشاريع الخزي والعار
من هامش الصحف
التي صارت إرثاً يوماً بعد يوم
يراقب القتل
على شاكلة دير ياسين المفزعة
التي تتربص به في المقابل
لمريدي الاستبداد
لأن يداً واحدة هي الخانقة
عبر حدود نهر الأردن
استغلال الشعوب
أمثنا من آتون العصبية
هناك سؤال بائس وأساسي
في المسألة العربية (٠٠).

بدأ الشاعر قصيدته بتحد للحكومة الإسرائيلية وكيفية تعاملها مع "المسألة العربية"؛ أي مشكلة عرب إسرائيل ممن بقوا تحت وطأة الحكم الإسرائيلي، ومشكلة اللاجئين الفلسطينيين الذين هجروا وشتتوا في بقاع الأرض. وربما يذكرنا الشاعر هنا بشعار "المسألة اليهودية" التي رفعته الحركة الصهيونية للترويج لفكرة الاضطهاد اليهودي من قبل الشعوب التي عاشوا بينها؛ وعلى أرض فلسطين رفعت شعار "أول عبري وآخر يهودي"؛ وذلك في محاولة لطي صفحة الماضي اليهودي وبداية صفحة جديدة على أرض فلسطين. وكأن الشاعر يقول هنا؛ لقد فعل اليهود ضد الفلسطينيين ما كانوا يعانون منه في الماضي من تشتت وذل وخنوع طبقاً لفرضيات الحركة الصهيونية آنذاك. ورغم الجانب الإنساني الذي يبدو في القصيدة؛ فهو هنا يعقد مقارنة ظالمة بين "المسألة العربية" و"المسألة اليهودية" فيساوى بينهما مساواة غير عادلة؛ لاسيما وهو يخشى في القصيدة على "هوية الدولة"؛ أي أن سؤاله عن المسألة العربية ينبع من خشيته على هوية دولته؛ والتي بسببها "يرتعد ذلك السؤال. سؤال المعالجة العبرية للمسألة العربية"؛ وهو سؤال يجر الشاعر إلى ذكريات الماضي التي عاشها اليهود؛ "فكم لذكرى الماضي فضل". كما يرى الشاعر أن الحماقة هي التي دفعت اليهود إلى تهجير شعب بأكمله ليتجرع ما تجرعوه في الماضي "وكم لزيف

الحماقة فضلة"، فمن الحماقة أن يفعل المعتدى ما كان يفعل به في الماضي.

ورغم ذلك؛ فقد تناول الشاعر عمليات القتل وسفك الدماء التي تعرض لها الفلسطينيون في هذه الحرب؛ فتحدث عن الجنود اليهود "الجاثمين على دماء شعب" شتت و"سحق بأكمله"؛ وشبه هؤلاء الجنود بالحيوانات التي تغتنم فريستها في وضح النهار "في وضح النهار يغتنم الحيوان فريسته".

وقد شبه الشاعر أيضاً المشروع الاستيطاني الإسرائيلي بمشروع الخزي والعار لأنه قام على اغتصاب بلاد لشعب آخر؛ وقد "جاء ليطوى أراضيهم"؛ والطى وحده يشير إلى المساحات الفلسطينية الشاسعة التي سلبتها إسرائيل.

وفى الجزء الثاني من القصيدة أدان الشاعر الحكومة الإسرائيلية؛ وهي تمضي في استكمال هذه المشاريع الاستيطانية غير الأخلاقية؛ "حكومتك يا إسرائيل تخط مشاريع الخزي والعار" تحت حماية "الجيش الإسرائيلي الراعي للقتل" والمذابح في كل مكان وفى كل المدن والقرى الفلسطينية؛ وعلى غرار ما حدث في مذبحة دير ياسين المفزعة (٤١)"؛ كما يقول الشاعر؛ واصفاً هذه المذابح والدماء التي تراق من أجل الاستيطان بالهمجية والخداع قائلاً: "ليس أنا كي تخدعونني...لأن يداً واحدة هي الخانقة والآكلة استقلال الشعوب". وهي يد الصهيونية التي مارست الخداع ضد اليهود وأتت بهم إلى الحروب على أرض يعيش عليها شعب منذ آلاف السنين؛ وقد "بدا هذا الشعب في شخص العجوز الفلسطينية ذات الثمانين عاماً". وهو اعتراف من قبل الشاعر بالتجذر الفلسطيني في هذه الأرض. وقد وصف الشاعر هذه المشاريع الاستيطانية بالهمجية المهددة لأمن إسرائيل؛ فيد الصهيونية ممتدة لكل مكان و"تلك هي اليد المهددة لأمننا من آتون الهمجية".

وفى نهاية القصيدة يصف الشاعر السؤال الذي طرحه بـ "السؤال البائس والأساسي"؛ وهو سؤال "المعالجة العبرية" للمسألة العربية. فرغم أنه سؤال أساسي فلا إجابة له؛ ويبدو أن الشاعر كان محقاً في هذا السؤال الذي طرحه وقت كتابة القصيدة عام ١٩٥٣؛ وحتى وقتنا هذا لم تستطع إسرائيل الإجابة عنه؛ فما زال سؤال

Scanned with CamScanner

الهوية بطرح نفسه بكل قوة على الساحة في إسرائيل.

ثالثاً: الذاكرة الإسرائيلية والجغرافيا الفلسطينية (احتلال الوعي):

عمل الكثير من الشعراء العبريين على تحقيق أهم أهداف الصهيونية في امتلاك الأرض الفلسطينية؛ ولعبوا دوراً كبيراً في الترويج لفكرة الحنين إلى "إقليم قومي" منذ الإرهاصات الأولى للصهيونية مع نهاية القرن التاسع عشر؛ فوقتها كان الشعر العبري يمثل تعبيراً ثاقباً لحقيقة التطلعات الصهيونية على أرض فلسطين. ورغم الجهود الكبيرة التي بذلها هؤلاء الشعراء منذ ما قبل قيام الدولة في إثراء الحنين إلى أرض فلسطين ومداعبة أحاسيس اليهود تجاهها؛ وبعد قيام الدولة في محاولات تفريغ المدن والقرى الفلسطينية وتغييبها، فإننا نستطيع القول بأن الجغرافيا الفلسطينية بقراها ومدنها؛ مازالت قابعة في الذاكرة الإسرائيلية؛ فهي تحتل الوعي الإسرائيلي وتنبش فيه من آن لآخر. فمثلما حاول الكثير من الشعراء الإسرائيليين تغييب هذه المدن ومحوها من الذاكرة، فهناك أيضاً شعراء آخرون ظلت من ذاكرتهم تلك القرى والمدن الفلسطينية رغم كل محاولات التغييب التي طالتها هذه المدن من قبل الأدباء والشعراء الإسرائيليين على مدار عقود من التاريخ.

وقد احتوت هذه المجموعة الشعرية على العديد من القصائد العبرية التي تعبر عن احتلال هذه المدن والقرى الفلسطينية للوعي الإسرائيلي؛ فرغم الحديث عن قرى بعينها وأخرى مجهولة دون ذكر اسمها؛ فإن هذه المدن قابعة في الذاكرة الإسرائيلية التي وإن استطاعت أن تمحوها على الأرض فإنها لم تستطع محوها من الذاكرة؛ فهي تؤرق هؤلاء الشعراء وتذكرهم بعمليات الطرد والتهجير وسفك الدماء والدمار؛ الذي ألحقه الجيش الإسرائيلي بهذه المدن والتي أقيم على أنقاضها الاستيطان الصهيوني.

ورغم أن الإنسان الفلسطيني كان مغيباً في هذه المجموعة الشعرية التي احتوت تقريباً على أغلب القصائد العبرية التي كتبت عن النكبة الفلسطينية؛ فإن أرضه بمدنها وقراها كانت هي البطل الرئيس في بعضها؛ فالساحة الجغرافية

Scanned with CamScanner

الفلسطينية حاضرة وبقوة في هذه القصائد؛ وذلك في مقابل غياب الفرد الفلسطيني. وهو أمر يؤكد عليه الناقد الأدبي أيمن سكسك، بقوله: "من الممكن أن نرى في هذه المجموعة الشعرية كيف محت بعض القصائد العبرية النكبة الفلسطينية؛ ولكنها تعاملت معها في نفس الوقت. فقد نرى بيوتاً مهجورة دون أن يذكر من الذي سكنها قبل هجرها، وقد نقرأ عن أشجار وحقول وجنان؛ دون أن نعرف من الذي غرسها. فالساحة الجغرافية التي بقت بعد النكبة الفلسطينية كانت هي البطل؛ وليس البشر الذين تم طردهم. ويمكن القول؛ إن الشعر العبري في العقد الأول من قيام دولة إسرائيل يعترف بالنكبة الفلسطينية، ولكنه يمحو الفلسطيني نفسه"(٤٢).

وتخاطب الباحثة الإسرائيلية نوجا كدمان المجتمع الإسرائيلي في كتابها (على جانبي الطريق وعلى هامش الوعي) قائلة: "إن الانشغال بذاكرة القرى الفلسطينية المهجرة وخرائبها في المرحلة الراهنة؛ من شأنه أن يبدو خارج سياق الزمان وغير ذي صلة؛ ومع ذلك فإنه من الضروري جداً معرفة وفهم الماضي لا من أجل العودة إليه وتقديسه؛ بل من أجل مواجهة حقيقية ومسئولة مع الحاضر الذي هو نتاج الماضي"(٤٣).

لقد احتلت القرى والمدن الفلسطينية قبل تفريغها الذاكرة الإسرائيلية؛ فلم يستطع الشعراء الإسرائيليون محوها من ذاكرتهم مثلما فعلوا مع أصحابها؛ فهي كائنة تحت مستوطناتهم، تؤرقهم وتذكرهم دوماً بالماضي الذى سحق فيه الإنسان الزائل؛ وظلت فيه الأرض الباقية تحتل الوعى الإسرائيلي وتذكر الإسرائيليين بأناس عاشوا عليها آلاف السنين، لتأخذهم في رحلة إلى ضبابية الوعى الإسرائيلي ومواجهته مع النكبة الفلسطينية، لا سيما وقد احتلت هذه القرى والمدن الفلسطينية عناوين العديد من القصائد العبرية التي كتبت حول النكبة؛ مثل (القرية الميتة) لدان باجيس؛ و(قرية مهجورة) و(اشكلون) لحيا فيرد؛ و(القافلة تعبر القرية) ليتسحاق شاليف، و(يافا) لنعومى ناداف؛ والتي نشرت بصحيفة "عل هامشمر" في نوفمبر ١٩٥١؛ وفيها تغنت الشاعرة الإسرائيلية بمدينة يافا؛ التي تعد من أقدم وأهم مدن فلسطين التاريخية، حيث كانت لفترة طويلة تحتل مكانة مهمة بين المدن الفلسطينية الكبرى من حيث المساحة وعدد السكان والموقع الاستراتيجي، حتى تاريخ وقوع

Scanned with CamScanner

النكبة عام ١٩٤٨، وتهجير معظم أهلها العرب، وفيها تقول ناداف:

رأيتك في صباح مشرق، من رؤوس أبراجك يطل نور
أجراسك تدق؛ بهجة بالنهار
رأيتك عالية وحالمة ومجيدة
من خلود الزمن تبدو أنقاضك
لكنك تعرفين: قد يعود الزمن لأجل البناء
وعلى مقربة من الأسوار؛ وفي الطرق؛ والممرات
تخطو الحمير ناحية السوق؛ في مسيرة ألوف السنين
حوافرهم تقرع الأرض الحجرية.
وفي الساحة وفوق المواقد تشوى الأسماك
في هواء البحر الرطب؛ في كل صباح (٤٤).

هكذا تغنت نعومى ناداف بمدينة يافا التاريخية؛ عروس البحر كما كانوا يطلقون عليها؛ وقد أتت لنا بمشهد تاريخي قبل احتلالها؛ فها هي "أجراس الكنائس وهي تدق" في كل صباح؛ حيث بها عشرة كنائس وثلاث أديرة. وتواصل ناداف مدح يافا في قصيدتها التي كتبتها بعد ثلاثة أعوام من تهجير أهلها الفلسطينيين قائلة: "رأيتك عالية وحالمة ومجيدة. من خلود الزمن تبدو أنقاضك".

ويبدو أن ناداف تعلم جيداً مكانة يافا تاريخياً وموقعها الجغرافي المتميز؛ حيث تقع على الساحل الشرقي للبحر المتوسط. وكانت تُعتبر نافذة فلسطين الرئيسة على البحر المتوسط؛ وإحدى بواباتها المهمة للعالم الخارجي من حيث وقوعها كمحطة رئيسة تتلاقى فيها بضائع الشرق والغرب، وجسراً للقوافل التجارية. ويعد ميناء يافا هو ميناء فلسطين الأول من حيث القدم والأهمية التجارية والاقتصادية، وكان فيها أيضاً ستة أسواق رئيسية متنوعة وعامرة؛ وهو ما تؤكد عليه ناداف في قصيدتها قائلة: "تخطو الحمير ناحية السوق؛ في مسيرة ألوف السنين"؛ وهو تعبير يشير إلى جذرية الوجود الفلسطيني في هذه المدينة التي سقطت في أيدي اليهود إبان النكبة؛ حيث جمع أهالي يافا في حي العجمي؛ وأحاطوه بالأسلاك الشائكة، وجعلوا الخروج

Scanned with CamScanner

منه والدخول إليه بتصريح من الحكومة الإسرائيلية.

وهكذا كانت مدينة يافا حاضرة بقوة في وعى ناداف بعبقها التاريخي؛ ومكانتها الجغرافية؛ وشواطئ بحرها الجميل؛ وكنائسها وأسواقها دون ذكر لسكانها الفلسطينيين الذين عاشوا عليها آلاف السنين، إلى أن طردوا منها في أحداث النكبة.

٢) وفى قصيدة أخرى تحت عنوان אשקלון (أشكلون) نشرت في يناير ١٩٥٠؛ كتبت الشاعرة الإسرائيلية حيا فيرد عن مدينة عسقلان أو مجدل الفلسطينية قبل أن تطلق عليها إسرائيل "أشكلون".

وفى هذه القصيدة تتحدث فيرد عن هذه المدينة بمنحدراتها وصخورها وبحرها، وقد بدأتها بصورة الوجود اليهودي الحديث بعد طرد أهلها الفلسطينيين؛ حيث يقف ايلان اليهودي ومن خلفه الخراب الذي ألحقه الجيش الإسرائيلي بالمدينة:

لم يكن ذلك ظل ايلان؛ بل كآبة الوجود والصخور

فلما حط الصمت على منحدرات أشكلون؛

كالصمت في المذابح المقدسة (٤٥).

ورغم الوجود اليهودي الحديث في هذه المدينة كما تقول الشاعرة؛ حيث كتبت هذه القصيدة في يناير ١٩٥٠؛ فإن عسقلان بعبقها التاريخي حاضرة بقوة وسط شواهد القبور وأمواج البحر المتلاحقة:

على الشاطئ كشواهد القبور الصامتة؛

في مواجهة الأمواج وضوء النهار؛ تتلاشى

صخرتان

وأخريتان عملاقتان تتجمدا

ليبغوصا في المياه والرمل

وتتعالى صرخاتهما في مواجهة الضوء والخوف.

وها هما صخرتان ممزقتان

Scanned with CamScanner

فرتنا من الموت والثكل

فتراقصت على خراب أشكلون وفقدها الذئاب (٤٦).

وهكذا؛ تصف فيرد خراب عسقلان مدينة "الضوء والخوف" على أيدي الجيش الإسرائيلي؛ إلى حد تعالت معه "صرخات الصخر" وهي "تغوص في المياه والرمال"؛ وهي تعبيرات جميلة أتت بها الشاعرة للتعبير عن مدى الخراب الذي لحق بهذه المدينة الجميلة؛ فالصخر يتميز بالقوة والصلابة ولكنه "تمزق وانهار" في مواجهة "الموت والثكل" الذى لحق بأهل المدينة التي "تراقصت على خرابها الذئاب". وهكذا ربما تصف الشاعرة اليهود هنا بالذئاب؛ التي انقضت على فريستها في لحظة خداع وسلبت المدينة من أهلها، وقد عايشت الشاعرة تلك اللحظة؛ حيث جاءت من بولندا إلى فلسطين عام ١٩٢٤؛ مع أسرتها وكانت تبلغ من العمر وقتها ثلاثة أعوام.

وقد بدا أن فيرد حزينة للخراب الذي لحق بهذه المدينة؛ ويبدو أنها كانت تقوم بزيارتها من آن لآخر حيث كانت تعيش في تل أبيب التي تبعد عن هذه المدينة بخمسة وعشرين كيلو متراً؛ ويبدو؛ أيضاً أنها عاصرت لحظات الدمار الذي لحق بهذه المدينة حيث انتقلت للعيش في مستوطنة "جيفرعام" التابعة لكيبوتس همئوحاد عام ١٩٤١؛ وفيه عملت كمدربة ومدرسة؛ وكان لها دور في الدفاع عن المستوطنة إبان أحداث النكبة عام ١٩٤٨ حيث تواصل فيرد حديثها إلى أشكلون قائلة:

أمواج وأمواج من الدمار والمجد

كمعدل موج بحرك الذي لا يهدأ؛

فلا تحملين قصائدك في المركب؛

فلتصغين؛ لقصيدة حزن؛

لك يا أشكلون المبتسمة.

اشكلون المبتسمة للمحنة؛

أما أنا فلم ابتسم.

يالها من رقة للبطلة تجاه بطل خائر

فشبح الأسد النافق

فظيع كحياته (٤٧).

لقد خاطبت الشاعرة المدينة وهي تحمل الأسى والحزن على ما لحق بها؛ وهو أمر قد يكون غريباً أن يصدر عن شاعرة إسرائيلية؛ ولكننا نلاحظ أنها تتحسر على المدينة وما لحق بها من خراب أثناء الحرب؛ ولم تأت بذكر لما لحق بأهلها الذين سفكت دماؤهم وهجروا وطردوا منها، فهي تبكي المكان ولا تبكي أهله؛ فهي تعترف بالنكبة وتصف لنا صور الدمار وتمحو الفلسطيني نفسه. فالمدينة قابعة في وعي الشاعرة بدمارها ومجدها "أمواج وأمواج من الدمار والمجد"؛ وببحرها "الذي لا يهدأ"؛ وبـ"ابتسامتها للمحنة". وقد وصفتها فيرد بالمدينة الباسلة القوية التي تجمع بين القوة والرقة؛ "يالها من رقة للبطلة تجاه بطل خائر"، فما فعلوه الجنود الإسرائيليون بها لا يتسم بالشجاعة؛ فهي بطولة زائفة وواهنة تماماً؛ "فالأسد النافق مخيف مثل حياته" كما تقول فيرد؛ مواصلة حزنها وبكاءها على ما لحق من خراب بتلك المدينة الفلسطينية العريقة:

سأخطو بين أمواج الخراب
لأنبأ لك بكل ما كان؛
وسيكون
أيتها المدينة المبتسمة للمحنة؛
فالآفاق البعيدة تمتد لحدود السماء؛
فإذا بظل متهتك على الأمواج يرتعد؛
والشمس في المياه تغوص؛
وليلة من السكون تندثر؛
بينما يعتلى الخوف أشكلون .
فليتدارك ضوئك الساطع ذبولك؛
هكذا تحمل وحدتها؛ عابسة وراسفة (٤٨).

وهكذا تنهى فيرد قصيدتها عن "عسقلان" الفلسطينية التي صارت "أشكلون"

Scanned with CamScanner

بعد الاحتلال الإسرائيلي لها؛ فرغم "عبوسها ووحدتها وخوفها" فهي "راسخة" و"مبتسمة للمحنة" بفضل "ضوئها الساطع" الذي سيتدارك "الذبول" والخفوت الذي لحق بها.

وهكذا أيضاً؛ تتباكى الشاعرة الإسرائيلية هذه المدينة دون ذكر للنكبة نفسها وما لحق بسكانها من الفلسطينيين؛ فالفرد الفلسطيني غائب تماما في هذه القصيدة وكأن الخراب والدمار لحق فقط بالمكان؛ الذي تبدو أهميته لدى الشاعرة بصورة واضحة، فهو يحتل وعيها كمدينة "إسرائيلية" كانت في الماضي "فلسطينية"، وهكذا يتدارك "الضوء الساطع" في ظل الوجود اليهودي "ذبولها" الذي كان في ظل الوجود الفلسطيني كما تحاول أن تقول الشاعرة. ولكن رغم هذا التجاهل والمحو للشخصية الفلسطينية في هذه القصيدة؛ فالنكبة حاضرة هنا وبقوة كحدث "اهتزت له الصخور وتعالت صرخاتها" من فرط "الموت والثكل" الذي لحق بسكان تلك المدينة.

٣) وفى قصيدة بعنوان פרידה מהדרום "وداع الجنوب" التي نشرت عام ١٩٤٩؛ وصف الشاعر الإسرائيلي أفا كوبينر مشاهد إحدى القرى المهدمة؛ دون ذكر لاسمها؛ من خلال حديث يدور بين جنديين إسرائيليين مرا على هذه القرية في طريقهما لتنفيذ إحدى المهام الموكلة إليهما:

نهض أحدهما في ساحة المعركة؛

وصرخ بصوت أشبه بتلك الليلة؛

هل سنصل؟ وكيف؟ (٤٩)

يبدأ الشاعر الحديث بين الجنديين الإسرائيليين بـــ"صرخة أشبه بتلك الليلة" التي يبدو أنها أعيتهما فيها مناظر القتل والخراب والدمار. ويصف أحد الجنديين تلك المناظر التي بدت أمامهما في تلك الليلة:

آبار قديمة؛ طلت فجأة أمام أعيننا

فانتفضت الدماء في عروقي؛

وتدفقت إلى قلب جامد وفظ.

Scanned with CamScanner

هيم الصمت؛ ويلفي هدير ماء عظيم وصوت عتيق يقول:
لا تخطو؛ يا صاحبي؛ فأقدامنا غريبة هنا
بينما يواصل صاحبي السير؛ بأقدام واهنة؛
فإذا بخطواتنا هامدة. لست أنت الذي هنا
المسافر المتجول يا صاحبي. (٥٠)

ويصف الشاعر هنا حالة بعض الجنود التي أعيتهم هذه الحرب؛ من خلال وصف إحدى القرى التي تهدمت؛ ويبدو أن الجنديين كانا يبحثان عن مصدر للمياه "فطلت عليهما آبار قديمة"؛ وما أن هم الأثنان للشرب حتى علا منها صوت قديم قدم هذه المدينة يحثهما على مواصلة السير فـ"أقدامهما غريبة هنا" و"خطواتهما ثقيلة وواهنة"؛ فتلك المياه سبيل "للمسافر المتجول"؛ وليست للمغتصبين للأرض.

٤) وتحت عنوان illumination(تنوير)؛ هكذا جاء عنوانها بالإنجليزية بينما جاءت أبياتها بالعبرية، كتبت الشاعرة الإسرائيلية ليئة جولدبرج قصيدتها التي نشرت في "عل همشمار" في سبتمبر ١٩٥٦؛ وفيها تتذكر جولدبرج في شغف؛ المدن والقرى الفلسطينية بعد تفريغها من أهلها دون أن تذكر أسماء لها؛ حيث وصفت في الجزء الأول من القصيدة إحدى المدن الفلسطينية ببيوتها وحاناتها وشوارعها:

هكذا تخرج إلى شارع
المدينة التي هي دائما مدينتك
لترى أشياء ليست بها
ثمة تحديث
وهكذا تمر بالشارع
من أمام بيوت وحانات
من أمام وجوه وضحكات
وشحاذين عجائز (٥١).

تتذكر لينة جولدبرج البيوت والحانات وشارع المدينة "التي هي دائماً مدينتك" "ترى أشياء ليست بها ثمة تحديث"؛ فربما تخاطب اليهود الذين قدمو للبلاد وتشدقوا بجعلها واحة من التقدم والحضارة ولم يفعلوا؛ "فهكذا تمر بالشارع" حيث "البيوت والحانات. وضحكات الشحاذين" المتقدمين في السن المعبرين عن جذرية الوجود الفلسطيني في هذه المدينة التي تداعب وعى الشاعرة؛ لتتذكرها بكل التفاصيل والأماكن.

وفى الجزء الثاني من القصيدة تحكى الشاعرة عن "عصفورة برتقالية"؛ هي بالأحرى طفلة فلسطينية تبحث عن بيتها وسط الأطلال؛ ولكن أبت الشاعرة أن تبوح بهوية هذه الطفلة:

وفوق إحدى الهضاب
تحلق عصفورة برتقالية
لا أعرف اسمها
بل أشجار الزيتون تعرفها
والرياح تتعقبها وهي تغني:
"هنا بيتك"
وفى عيون طفلة عربية
على مشارف القرية المحطمة
ترفرف تلك العصفورة البرتقالية
التي لا أعرف اسمها (٥٢).

وهكذا لم تعرف الشاعرة تلك الطفلة؛ بل "تعرفها أشجار الزيتون" التي اشتهر بها الفلسطينيون على أرضهم؛ وتعرفها أيضاً الرياح التي "تتعقبها قائلة: هنا بيتك"؛ فالرياح تعرف مكان البيت وتدركه بعد أن تحطم وتهدم في هذه الحرب وصار مثل مئات البيوت في هذه "القرية المحطمة".

٥) لقد أطلق الكثير من الشعراء صفات عديدة على القرى الفلسطينية التي

Scanned with CamScanner

أثقلت الذاكرة والوعي الإسرائيلي بصور الدمار والخراب؛ دون ذكر اسم لها؛ فكانت هناك "القرية المهجورة" و"القرية الميتة" و"القرية المحطمة". وهي صفات تشير إلى الوضع الذي آلت إليه القرى الفلسطينية بعد هذه النكبة التي لحقت بها وبأهلها. وعلى سبيل المثال نشر الشاعر الإسرائيلي دان باجيس الذي تغلب على قصائده أحداث النازي؛ قصيدة تحذيرية بعنوان "القرية الميتة" في صحيفة "عل هامشمار" عام ١٩٥٥؛ وصف فيها حال إحدى القرى الفلسطينية التي حط عليها السكون والدمار؛ وهي القرية التي علقت في وعيه وتأثر بها وأثقلت ذاكرته؛ فكتب يقول:

حال قدومك للسكون المحترق

للأحجار. للأسوار اللبنية

للقرية الميتة؛ مقطوعة الرأس

للرماد المتناثر

للحفيف المتهتك بين الأشواك

وفوق رأسك أثقال الذاكرة

وأثقال حنق المهجرين

فجأة؛ يهبط عليك طير الكراهية

يفرش عليك جناحيه كالصليب من فوقك

وأظافره كالسكاكين الحادة

تتعقب خطاك (٥٣).

هنا يتحدث باجيس في هذه القصيدة عن لقاء يجمع بين القاص اليهودي وبقايا قرية فلسطينية محروقة؛ وفيها يظهر المتحدث الذي جاء ليبحث عن الهدوء المحترق فيظهر الهدوء وتختفي القرية المحروقة.

وفى هذه القصيدة يحذر باجيس من غضبة الفلسطينيين المهجرين من قريتهم التي احترقت بالكامل وحط عليها السكون من كل صوب فكان "سكوناً محترقاً". وهو وصف يبين شدة الاحتراق والخراب الذي لحق بتلك القرية التي لم يذكر الشاعر

Scanned with CamScanner

اسمها أيضاً. وقد وصف الشاعر تلك القرية بـــ " القرية الميتة. مقطوعة الرأس"؛ فقد ذبحها الاحتلال وحرقها؛ و"تناثر رمادها" في كل مكان؛ إلى درجة "تهتك الحفيف بين الأشواك"؛ وهي أوصاف لاذعة تبين لنا مدى العنف والجرائم التي ارتكبها الجيش الإسرائيلي في حق الفلسطينيين خلال حرب ١٩٤٨.

وهكذا كان حجم الدمار الذي حط على تلك القرية الفلسطينية؛ فقد ذبحت؛ وقتلت؛ وأحرقت؛ وتناثر رمادها في كل مكان. وليس هذا فحسب؛ بل أثقلت الذاكرة بصور الدمار والخراب؛ حتى صارت "أثقال الذاكرة" و"أثقال حنق المهاجرين" شبحاً أو كابوساً يحذر منه الشاعر القادمين إليها من اليهود. وقد وصف الشاعر هذا الكابوس أو الذاكرة المثقلة بـــ "الطائر المفترس" الذي تتعقب "أظافره الحادة كالسكين" خطى القادمين إلى هذه القرية.

وعلنا نلاحظ أيضاً في هذه القصيدة؛ أن الشاعر لم يذكر الفلسطينيين؛ فقد اهتم كعادة أغلب الشعراء الإسرائيليين بالنكبة الفلسطينية ومحو الفلسطيني نفسه.

٦) وتحت عنوان כפר נטוש "قرية مهجورة" كتبت الشاعرة الإسرائيلية حيا فيرد عن صورة القرية الفلسطينية "المهجورة" القابعة في الذاكرة الإسرائيلية؛ وفيها تعطى لنا انطباعاً عن الصورة النمطية للقرية العربية التي روج لها بعض الشعراء والأدباء الإسرائيليين بعد حرب ١٩٤٨؛ حيث دأب هؤلاء على إظهار العربي الفلسطيني في صورة البدوي والقروى المتخلف الذى يسكن القرى والأكواخ والبيوت اللبنية فحسب؛ وعملوا على إظهار التحضر اليهودي في مقابل التخلف العربي، ويبدو أن فيرد انضمت إلى هذا الصراع الأدبي الذى فجره هؤلاء الأدباء والشعراء الإسرائيليون جنباً إلى جنب مع الصراع العسكري؛ فكتبت تقول:

تلاشت آثار أقدام الحمير

واضمحلت ريح الروث والتبن

واكفهرت من الصدوع

أعين تؤلم الحجر.

Scanned with CamScanner

تداخلت ألوان؛ وخيم
اللون الرمادي على القرية (٥٤).

ولعل أول ما يلفت الانتباه في هذه القصيدة هو عنوانها "قرية مهجورة"؛ وكلمة "مهجورة" هنا ربما تعطى انطباعاً بأن الهجر كان طواعية لا قسراً. ورغم آلام الشاعرة على ما أصاب القرية من خراب "يؤلم الحجر"؛ حيث خيم "اللون الرمادي" على جنبات القرية؛ فإن صورة الألم التي "انعكست في الأعين" واعتصر لها قلب الشاعرة؛ تداخلت معها صورة أخرى من "آثار أقدام الحمير" و"ريح روثها وطعامها". وهي الصورة التي شاعت في الأدب الإسرائيلي بعد حرب ١٩٤٨. ومرة أخرى يبقى الاعتراف بالنكبة الفلسطينية في هذه القصيدة و"تلاشى" الفلسطيني نفسه. وهكذا جاءت هذه القصائد لتؤكد أن هذه المدن بجغرافيتها ما زالت تعلق بالذاكرة الإسرائيلية وتحتل وعيه بصورة واضحة رغم كل محاولات التغييب.

Scanned with CamScanner

نتائج الدراسة

كانت النكبة الفلسطينية، رغم محاولات تغييبها، حاضرة وبقوة في الكثير من القصائد التي احتوتها هذه المجموعة الشعرية؛ التي جمعت أغلب ما كتب تقريباً عن النكبة في مجال الشعر العبري حتى عام ١٩٥٨. ومما سبق نستطيع أن نستخلص النتائج التالية:

(١) تصدر هذه المجموعة الشعرية بعد ستين عاما تقريباً من النكبة الفلسطينية؛ تتمثل تحدياً كبيراً لمحاولات تغييب النكبة ومحوها من الذاكرة الإسرائيلية؛ عبر القوانين الإسرائيلية.

(٢) لم تكن أهمية هذه المجموعة الشعرية في احتلال النكبة الفلسطينية للوعي الإسرائيلي فحسب؛ بل تكمن أهميتها أيضاً في التعريف بالجذور وظروف نشأة دولة إسرائيل. ففيها تعديل لمسار التاريخ المختلق من قبل المؤسسة الرسمية الإسرائيلية؛ وفيها يحلق الماضي الفلسطيني المرير بجناحيه في سماء المجتمع الإسرائيلي؛ الذي نشأ وقام على أطلال قرى ومدن فلسطينية ما زالت تقبع في ذاكرة المحتل رغم محاولات الطمس والتغييب المستمرة.

(٣) يمكن القول؛ إن الشعر العبري الذي كتب بعد النكبة الفلسطينية؛ وكرافد من روافد الأدب العبري الإسرائيلي؛ سار على نفس النهج الذي سلكه الأدباء الإسرائيليون في محاولات إظهار العداء الإسرائيلي للعربي الفلسطيني من خلال شيوع الصورة النمطية المشوهة للقرى الفلسطينية في أغلب القصائد العبرية التي تحدثت عن النكبة الفلسطينية.

(٤) رغم أن هذه القصائد تتحدث عن النكبة الفلسطينية وما لحق بالقرى والمدن الفلسطينية؛ ومع التفاصيل الدقيقة التي ذكرها هؤلاء الشعراء عن تلك الأماكن؛ فإنها تؤكد أن هذه المدن ما زالت تعلق بالذاكرة الإسرائيلية وتحتل وعيه بصورة واضحة؛ رغم كل محاولات التغييب التي اتبعوها في عدم ذكر اسماء القرى والمدن؛ أو ذكرهم للأسماء العبرية فحسب.

(٥) كان تدمير القرى الفلسطينية ونهبها خلال أحداث النكبة؛ ومحو مئات السنوات من تاريخها من العناصر المركزية في القصيدة والذاكرة الجماعية للشعراء الإسرائيليين؛ علاوة على أن أحداث النكبة ارتبطت بمشاعر الفقدان والظلم الناجم عن قيام دولة إسرائيل وممارساتها لدى بعض الشعراء.

(٦) علق بعض النقاد الإسرائيليين على هذه المجموعة الشعرية بقولهم؛ إن الاعتراف بالنكبة الفلسطينية أمر ضروري للراغبين في التسوية السلمية وحل الصراع؛ وإن مواجهة أحداث

Scanned with CamScanner

الماضي والاعتراف الحقيقي بالثمن الباهظ الذي سدده الفلسطينيون خلال النكبة من شأنه أن يمهد الطريق أمام تلك التسوية؛ وهو ما بدا في التعاطف الإنساني في بعض القصائد. ولكننا نرى -ومن خلال تلك الدراسة- أن حرص الشعراء الإسرائيليين على عدم الاعتراف بالمسئولية وتجنب ذكر الفاعل الذي تسبب في هذه النكبة؛ يحول دون ذلك.

(٧) تعامل الشعراء الإسرائيليون مع الجرائم الأخلاقية التي اقترفت في حق الفلسطينيين خلال النكبة كأعمال فردية أثرت بالسلب على العمل الجماعي؛ وبدا الشعراء وكأنهم ينتحبون الجرم الأخلاقي الفردي، كالاغتصاب والقتل والتهجير والطرد؛ في معزل عن الاعتراف بالجرم السياسي الجماعي، الذي هدف إلى تفريغ المدن الفلسطينية وطمس معالمها العربية.

(٨) كانت الرؤية الصهيونية الرافضة الاعتراف بالخطيئة في حق الفلسطينيين حاضرة بقوة في بعض قصائد هذه المجموعة الشعرية؛ حيث تماثل الشعراء مع الجرح الفلسطيني النابع من جرح قديم لدى الشاعر وهو (الحدث النازي)؛ وهو ما بدا في التعاطف الإنساني في بعض القصائد لهذه المجموعة الشعرية.

(٩) تأتى الشهادات الفلسطينية ضمن صفحات هذه المجموعة الشعرية؛ لتفضح الشعر القابع في أسر لغة الكلام والرمز، وللتأكيد على أنه إذا لم ينجح الشعر العبري في التعبير بصفة عامة عن واقع النكبة الفلسطينية بكل مآسيها؛ فإن الكثير من شهادات المطرودين الفلسطينيين وأبناءهم تستطيع أن تعبر عنها بكل قوة. كما أنها قد تكون محاولة للتعبير عن واقع النكبة الفلسطينية وتداعياتها بصورة مباشرة بعيداً عن لغة الشعر البلاغية غير المباشرة.

(١٠) كانت القرى والمدن الفلسطينية بأسمائها العبرية وعبقها التاريخي العربي هي البطل الرئيس في هذه المجموعة الشعرية؛ رغم محاولات تغييبها. فالجغرافيا الفلسطينية حاضرة وبقوة في الكثير من هذه القصائد.

Scanned with CamScanner

الهوامش والمراجع

(1) אריאל הירשפלד:כמעט כל מה שנשאר על הנכבה בתחום השירה העברית נמצא בכתב העת "סדק",עיתון הארץ, 10-1-2010.
(2) ארז שרייצר: דברים שבשירה, השאלה הנוקבת, עיתון הארץ, 20-4-2010.
(3) אלי הירש: קורא שירה, אל תגידו בגת, הנכבה הפלסטינית בשירה העברית, ידיעות אחרונות, 22-1-2010.
(4) שם.
(5) עמיחי שלו: די לטשטש, עיתון ידיעות אחרונות, 29-1-2010.
(6) שם.
(7) שם.
(8) אמיר בנבגי: בתוך ביצורי הזיכרון, http://www.haokets.org/2011/03/24
(9) שם.
(10) هذا القانون الذي قدمه عضو الكنيست «أليكس ميلر» عن حزب «إسرائيل بيتنا» يخول وزير المالية الإسرائيلي صلاحية اتخاذ اجراءات قضائية وفرض عقوبات مالية على هيئات تمولها الحكومة مثل: جمعيات أو منظمات أو سلطات محلية في حال قيامها بإحياء ذكرى «النكبة الفلسطينية»، وعلى كل من ينفي وجود «إسرائيل» دولة يهودية وديموقراطية.
(11) מיכאל יעקובסון: סיבוב במיסכה, http://michaelarch.wordpress.com/2010/01/10
(12) אלי הירש: קורא שירה, שם.
(13) אריאל הירשפלד:כמעט כל מה שנשאר על הנכבה בתחום השירה העברית נמצא בכתב העת "סדק",עיתון הארץ, 10-1-2010.
(14) **נא לעיין:** נגה קדמן: בצדי הדרך ובשולי התודעה, דחיקת הכפרים הערביים שהתרוקנו ב-1948 מהשיח הישראלי / http://www.text.org.il/index.php?book=0810081
(15) דניאל בן נחום: כפר נטוש, אל תגידו בגת, הנכבה הפלסטינית בשירה העברית 1948 – 1958, אסופת שירים, עורך: חנן חבר, הוצאה משותפת של זוכרות, סדק, פרדס, ופרהסיה, 2010, (עמ,83).
(16) חנן חבר: אל תגידו בגת, הנכבה הפלסטינית בשירה העברי 1948–1958,שם, (עמ,9).
(17) שם, (עמ,25).
(18) יחיאל מר: שרידים מול הים, אל תגידו בגת, שם, (עמ,91).
(19) נגה קדמן: בצדי הדרך ובשולי התודעה, שם.
(20) אבא קובנר: מראה חולות, אל תגידו בגת,שם, (עמ,71).
(21) חיים גורי: בנוף הכפרים הנטושים, אל תגידו בגת,שם, (עמ,100).
(22) נגה קדמן: בצדי הדרך ובשולי התודעה, שם.

(٢٥) آلة موسيقية ورد ذكرها في سفر المزامير.
(٢٦) אפרים תלמי: בשדות אשקלון, אל תגידו בגת,שם. (עמ,173)
(٢٧) נגה קדמן: בצדי הדרך ובשולי התודעה, שם.
(٢٨) חנן חבר: אל תגידו בגת, שם, (עמ,26).
(٢٩) אל תגידו בגת, שם, (עמ,138).
(٣٠) נתן אלתרמן: על זאת,אל תגידו בגת, שם.(עמ,68).
(٣١) חנן חבר: אל תגידו בגת, שם, (עמ,9).
(٣٢) אמיר בנבגי: בתוך ביצורי הזיכרון, שם.
(٣٣) חנן חבר: אל תגידו בגת,שם, (עמ,10).
(٣٤) שם, (עמ,14- 15).
(٣٥) אלי הירש: קורא שירה, שם.
(٣٦) ארז שוייצר: דברים שבשירה, שם
(٣٧) אריה ל. שטראוס: יד פאטמה, אל תגידו בגת,שם, (עמ.126).
(٣٨) אמיר בנבגי: בתוך ביצורי הזיכרון, שם.
(٣٩) שם.
(٤٠) אלכסנדר פן: השאלה הנוקבת, אל תגידו בגת,שם, (עמ,122).
(٤١) **مذبحة دير ياسين:** حدثت مذبحة دير ياسين في قرية دير ياسين، التي تقع غربي القدس في ٩ أبريل عام ١٩٤٨ على يد الجماعتين الصهيونيتين: أرجون وشتيرن. أي بعد أسبوعين من توقيع معاهدة سلام طلبها رؤساء المستوطنات اليهودية المجاورة ووافق عليها أهالي قرية دير ياسين.وراح ضحية هذه المذبحة أعداد كبيرة من السكان لهذه القرية من الأطفال، وكبار السن والنساء والشباب. وكان عدد من ذهب ضحية هذه المذبحة حسب المصادر العربية والفلسطينية ما بين ٢٥٠ إلى ٣٦٠ ضحية تم قتلها. وكانت مذبحة دير ياسين عاملاً مهمّاً في الهجرة الفلسطينية إلى مناطق أخرى من فلسطين والبلدان العربية المجاورة لما سببته المذبحة من حالة رعب عند المدنيين. ولعلها كانت السبب في إشعال الحرب العربية الإسرائيلية في عام ١٩٤٨. وأضفت المذبحة حقداً إضافياً على الحقد الموجود أصلاً بين العرب والإسرائيليين.
(٤٢) עמיחי שלו: די לטשטש, שם.
(٤٣) נגה קדמן: בצדי הדרך ובשולי התודעה, שם.
(٤٤) נעמי נדב: יפו, אל תגידו בגת,שם, (עמ,104).
(٤٥) חיה ורד: אשקלון, אל תגידו בגת,שם, (עמ,76).
(٤٦) שם, (עמ,76- 77).
(٤٧) שם, (עמ,77).
(٤٨) שם, (עמ,78).
(٤٩) אבא קובנר: פרידה מהדרום, אל תגידו בגת,שם, (עמ,70).
(٥٠) שם.
(٥١) לאה גולדברג: illumination, אל תגידו בגת,שם, (עמ,182).
(٥٢) שם, (עמ.182).
(٥٣) דן פגיס: הכפר המת, אל תגידו בגת,שם, (עמ,157).
(٥٤) חיה ורד : כפר נטוש, אל תגידו בגת,שם, (עמ,174).

Scanned with CamScanner

النكبة الفلسطينية فى الشعر العبرى المعاصر

دراسة فى بعض قصائد ("لا تخبروا فى جت"، النكبة الفلسطينية فى الشعر العبرى ١٩٤٨-١٩٥٨) من إعداد حانان حيفر

د.عمرو عبدالعلى علام
أستاذ الأدب العبرى المعاصر المساعد
كلية الآداب -جامعة المنوفية

ملخص البحث:

رغم محاولات التفريغ والتغييب التى اقترفتها إسرائيل ومن قبلها الحركة الصهيونية فى حق الفلسطينيين منذ عام ١٩٤٨ وحتى وقتنا هذا؛ تبقى النكبة الفلسطينية قابعة فى الذاكرة الإسرائيلية، بكل مآسيها وضحاياها من الفلسطينيين ممن فقدوا وطنهم الذى ما زال يعيش فيهم ويحيون على أمل العودة إليه. وتبقى النكبة الفلسطينية قابعة أيضاً فى الأدب والتاريخ الإنسانى كشاهدة على عشرات المجازر والفظائع وأعمال النهب ضد الفلسطينيين، وهدم قراهم وتحطيم مدنهم وتحويلها إلى مدن يهودية؛ ومحاولات تدمير الهوية الفلسطينية ومحو الأسماء الجغرافية العربية وتبديلها بأسماء عبرية.

من هنا تأتى أهمية المجموعة الشعرية العبرية ("لا تخبروا فى جت"، النكبة الفلسطينية فى الشعر العبرى ١٩٤٨-١٩٥٨)؛ التى أعدها الناقد الإسرائيلى البرفيسور حانان حيفر وآخرون؛ والتى صدرت فى عام ٢٠١٠؛ أى بعد أكثر من ستين عاماً على النكبة الفلسطينية؛ لتخرج عن النص المكتوب في الأدب الإسرائيلى الذي يحاول طمس النكبة الفلسطينية كجزء من الحرب المتواصلة ضد الوعي والذاكرة.

وهي مجموعة من الشعر العبري الذى نظم بين يناير ١٩٤٨ وديسمبر ١٩٥٨ وتطرقت للنكبة الفلسطينية. وهي خلاصة بحث طويل وشامل، تم خلاله رصد الشعر العبري وكيفية تعامله مع النكبة في الكتب والصحف العبرية منذ نهاية نوفمبر ١٩٤٧ وحتى نهاية عام ١٩٥٨.

هذه الدراسة سوف تحاول تقييم فكرة اتساق القيم عند الشاعر ومدى تحققها من عدمه؛ كما ستحاول الإجابة عن أسئلة ملحة تفرض نفسها وبقوة حول طبيعة الشعر العبرى الذى نشر فى أعقاب النكبة الفلسطينية وفى العقد الذى تلاها؛ وكيفية تعامله مع الآثار التى خلفتها هذه الحرب؛ وتداعيات العنف تجاه الفلسطينيين.

Scanned with CamScanner

Palestinian catastrophe in modern Hebrew poetry Study in some of the poems ("Do not tell in Jet", the Palestinian catastrophe in Hebrew poetry 1948 - 1958) prepared by Hanan Hever

Dr.Amr Abdel Aly Allam
Associate professor
Oriental Language, Division of the Hebrew language,
Faculty of Arts,
Menoufia University.

Despite attempts by many writers Israelis ignored the other Palestinian and agonies in intellectual, literary, and dealing with the Nakba in order to erase them and erased like a story of historical finished, there are literary works in Israel do not designed in the blur of the Palestinian Nakba and its implications, and refuses to devote vision single-establishment in Israel.

Here comes the importance of Hebrew poetry collection ("Do not tell in Jet", the Palestinian Nakba in Hebrew poetry 1958-1948); prepared by the Israeli critic Professor Hanan Hever and others; issued in 2010; since more than sixty years of the Palestinian Nakba; it departed from the text written in the literature that tries to blur the Israeli Palestinian Nakba as part of the ongoing war against consciousness and memory.

This study will attempt to assess the idea of the consistency of values for the poet; also will try to answer urgent questions impose themselves strongly on the nature of Hebrew poetry which was published in the wake of the Palestinian Nakba In the decade that followed; and how to deal with the effects that left by the war; and the repercussions of violence toward the Palestinians.

Scanned with CamScanner